قضايا المرأة الاجتماعية والثقافية في روروايات سحر خليفة

"دراسة تحليلية"

بحـث جامعـي

لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعـــداد

محمد أبرار عالم

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغات والآداب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيودلهي-110067

2017

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Date: 25/07/2017

DECLARATION

I declare that this dissertation entitled **"Socio-cultural Issues of Women in the Novels of Sahar Khalifeh: An Analytical Study"** submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution partially or fully.

Md Abrar Alam
(Research Scholar)

24/7/17

Dr. MD. QUTBUDDIN
(SUPERVISOR)
CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

24/7/17

Prof. RIZWANUR RAHMAN
(CHAIRPERSON)
CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

مقدمة البحث

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين أما بعد!

فقد أنجزت السيدات العربيات نجاحا كبيرا في مجال الأدب، وسجلت هوية استثنائية خاصة في ميدان القصة والرواية، ويتسنى لمن يتابع الإبداعات الأدبية أن يلمس نمو ظاهرة سائدة في الإنتاجات العربية، وهي ظاهرة تنعكس في تعرض المرأة لتناول فن الرواية والقصة.

والذي يؤدي إلى اتساع تجربتها في الحياة هو بث تعليم النسوة في أطراف العالم العربي في بيئة خالية من ظل الاستعمار القديم والذي خيم على أكثر البلدان العربية.

وبالتالي فقد سجلت النسوة العربية أسماءها في ميدان الأدب والثقافة بلا اختلاف رأي مع بروز طائفة من الكاتبات البارزات في جيل مقبل تفاعلت مع من مضت من أجناسها أمثال رضوى عاشور، غادة السمان ولطيفة الزيات وغيرهن من العدد الكبير من الأسماء في عالم الأدب.

واستمرت هؤلاء بكتابة إنتاجاتهن، وسلكت كل منهن مسلكا خاصا في إنتاج التجارب الأدبية، وبرزت إبداعاتهم بلمسات نسائية ورواية نسبية.

وجعلتني هذه اللمسة الأدبية الجديدة وروايات نسائية أن أتعقب أعمال بعضهن، فوقع اختياري على رواية الكاتبة "سحرخليفة"، وجعلتني أميل إلى ما يسمى "بالأدب النسائي"، وتساءلت نفسي هل يوجد في الحقيقة أدب ينسب إلى هذالجنس،

وإن هذا المصطلح الجديد واسع شكلا ومعنى وبادر بعض الدارسين والباحثين إلى اعتبار هذا الأدب مركز الإنسان كما أن كاتبته إنسان بلا تفريق بين الجنسين وتفضيل الواحد على الآخر.

وحينما تبدأ المرأة ذكر هذه الأوضاع والظروف في إنتاجات أدبية لاتستعمل المزايا النوعية بصفة أنها مرأة وإنما تقلد وتحاكي وتعبر عما تحس وتمربه وما تجربته في طور عيشها في المجتمع بسبب ثقافتها وأفكارها ورؤيتها.

والسبب في تخلف النساء عن الرجل في الإنتاجات الأدبية – خاصة في العقود الماضية – يعود إلى أوضاع ثقافية وأحوال اجتماعية، ولم توفر هذه الأحوال للمرأة فرصة التعبير عن ذاتها أدبا وفنا.

ولوتحدثنا عن المعاني والمفاهيم فلم نجد المواضيع الخاصة التي يعالجها الرجل فقط أو تعالجها المرأة فحسب، وإنما نرى بوضوح أن المرأة تعالج المشاكل والقضايا الوطنية بمنتهى الصدق والإخلاص الذي لا يقل أهمية عما يوجد في أعمال أدبية منسوبة إلى الرجال .

ونجد القضايا والمشاكل الوطنية التي تناولتها الكاتبة سحرخليفة في كمية كبيرة لأنها تجربتها بنفسها ولكن قلقها الأهم كان التحارب والصراع مع المجتمع الذي كان يهين المرأة وتقيم عرقلة في طريق تقدم ورقي المجتمع النسائي خاصة في العالم العربي.

وبجانب ذلك أني ألاحظ أن جميع النساء الكاتبات يقاسمن شئيا مشتركا وهو معالجتهن قضايا نسوية، وكلهن في الحقيقة امتداد لآخرى، ولكن نجد كذلك في أدبهن

قضايا الوطن وقامت بالمزاوجة بين قضية نسوية ووطنية وأفكار التحرر من قيودس المجتمع وصورها النمطية، وكتاباتها تنادي بتحرير المرأة واستقلالها وتحث على إطلاق سراح المجتمع النسوي من سجن المحافظة والعادات والطقوس القاهرة.

فموضوع كل منها مشترك إلا أن الأسلوب مختلف وخاص بشخصيتها وتمثل مدى تضامنها مع القضية أيا كانت نسوية أو وطنية.

ولم تكتف الكاتبات العربيات بقضايا معينة وإنما كن دائما في ارتياد الجديد واللذيذ وأينما وجدن جعلنها موضوعا لروايتهن، فإنهن لامست القضايا الرومانسية والقضايا الخفيفة كما تتبلور في كتابات غادة السمان .

ويتلخص موضوع كتاباتهن في كلمات عديدة وهي رغبة التحرر من قيد المجتمع والتحرر في شعب الحياة كلهما وفي الآلام والأحلام والمشاعر والعواطف.

ووصلت أعمالهن الأدبية إلى درجة من الفصاحة والبلاغة وخلو الفن من المعايب الفنية حيث يفقن بعضهن نظرائهن من الرجال بموهبته ن وثقافتهن والانفتاح الفكري في كل مجال من الشعر و النثر.

أما المشاكل التي واجهتها في إعداد دراستي هذه هى أني لم أجد كتابا يستقل بحياة سحر خليفة وأعمالها الأدبية فلجأت إلى عدة كتب متفرقة تناولتها وأدب المرأة في صفحات ومن أهمها : موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر لـ.د سلمى الخضراء الجيوسي، وجل اعتمادي كان على كتب الكاتبة هذه: عباد الشمس، الصبار، مذكرات إمرأة غيرواقعية، لم نعد جواري لكم، الميراث، باب الساحة، صورة وأيقونة وعهد قديم، ربيع حار، أصل وفصل، فهذه الكتب التي اعتمدت عليها في إكمال هذه الدراسة.

أما المنهج الذي اتبعت في الدراسة هو منهج تكاملي وتحليلي فقمت بتحليل جميع رواياتها وأبرزت صورة المرأة الموجودة فيها وهذه هي النكتة التي ركزت عليها في البحث.

ولعملية التوثيق والتوكيد ذكرت في الحاشية إسم الكاتب والكتاب والصفحة أما كافة التفاصيل فمذكورة في فهرس المصادر والمراجع.

أما الدراسة فقسمت على مقدمة و ثلاثة أبواب وخاتمة . أما الأبواب فيشمل الباب الأول والثالث على ثلاثة فصول وأما الثاني فيشمل على فصلين .

ذكرت في المقدمة قدرا من التفصيل هوية النساء العربيات في الرواية والقصص وكذالك ظهور طائفة من الكاتبات في العصر الحديث وموضوع أدبهن والقاسم المشرك بين كتاباتهن والقضايا التي تناولنها في إنتاجاتهن الأدبية.

أما الفصل الأول من الباب الأول فيشتمل على مولدها ونشأتها وطفولتها وتعلمها وتعليمها بقدر من التفصيل بمنتهى الدقة، وفي الفصل الثاني ذكرت العوامل التي أثرت في تكوين شخصيتها والبيئة التي ترعرعت فيها وكيف أثرت في حياتها الأدبية، وفي الفصل الثالث تناولت إسهامات سحر خليفة في إثراء اللغة العربية عامة والأدب الفلسطيني خاصة وألقيت ضوء على مجموع أدبها.

أما الباب الثاني فهو يشتمل على فصلين فالفصل الأول يحتوي على صورة المرأة في الرواية العربية ككل وألقيت نظرة على بعض الروائيين العرب الذين عالجوا الموضوع، أمثال حنة مينة وعبد الرحمن منيف وغيرهما، والفصل الثاني يشتمل على

صورة المرأة في الرواية الفلسطينية وتحدثت فيه عن هوية المرأة وصورها وتنوعاتها التي ذكرها غسان كنفاني وإميل حبيبي.

أما الباب الثالث فالفصل الأول يتناول القضايا النسوية والسياسية في روايات سحر خليفة بقدرمن التفصيل والفصل الثاني يتحدث عن تعامل المرأة مع المجتمع في روايات سحر خليفة وذكرت فيه كيف يتعامل المجتمع العربي والفلسطيني المرأة وما هي نظريته ورؤيته تجاه المرأة أما الفصل الثالث فيعالج مساهمات سحر خليفة في نهضة المرأة المعاصرة، وكيف حثت سحر خليفة المجتمع العربي والفلسطيني على تقدم وتطور المرأة العربية التي كانت بعيدة من التحرر والاستقلال منذ مدة في البلدان العربية.

وذكرت في خاتمة البحث النتيجة التي وصلت إليها الدراسة وماهوالجديد الذي استخلصت من هذا البحث من روايات سحر خليفة.

وفي الأخير أرفقت قائمة المصادر والمراجع بلاتفريق بين المراجع والمصادر وفق الأسلوب الإنجليزي الجديد مع محتويات البحث.

كلمة الشكر

أولا أشكرالله سبحانه وتعالى الذي وفقني بإتمام هذه الدراسة بعد جهود متعبة تشتمل على غربلة أوراق الكتب في المكتبة وبذل معظم الأوقات بين مجموعة من الكتب التي ثبتت لي خير جليس طوال هذه المدة، ثم أتقدم بالشكر إلى أستاذي ومشرفي المخلص الكريم الذي أسدى إلى بالنصيحة وتكرم بتوجيه آراء سديدة، وأرشدني في كل خطوة من هذا البحث إلى الكتب المفيدة والمصادر والمراجع التي

ساعدتني في إكمال الدراسة وسهل لي هذ السفر إلى حد كبير، ولم يكن من الممكن أن يأتي البحث إلى الوجود لولم يكن رأيه واستشارته مصاحبا لي فجزاه الله عني وعن أهل الأدب وكل من يستفيد من هذاالبحث خيرالجزاء، وعلى الله قصد السبيل.

محمد أبرار عالم

الباحث:

جامعة جواهرلال نهرو نيودلهي الهند

2017/07/22

الباب الأول

حياة سحر خليفة وأعمالها الأدبية

الفصل الأول: مولدها ونشأتها

الفصل الثاني: العوامل المؤثرة فى حياة سحر خليفة

الفصل الثالث: أعمال سحر خليفة الأدبية

الفصل الأول

مولدها ونشأتها

ولدت "سحرخليفة" فى الخامس عشر من كانون الثاني 1941م لعائلة أرستقراطية فى حي "بليوس" فى الجبل الشمالي من مدينة نابلس (فلسطين) من عائلة محافظة، وكانت ولادتُها كأُنثى بمثابة صدمة قوية للعائلة، صدمة تُضاف إلى الصدمات السابقة كانت إحدى ثماني بنات وكان ترتيبها البنت الرابعة فى العائلة، فى مجتمع ذكوري قائم على التمي يز بين الجنسين، ولادتُها كانت قا نقةً وحزينةً، لأن الأب كان ينتظرها مولودا ذكراً، يحمل إسمه وإسم العائلة ويرث ممتلكاته من بعده، وتتوالى المصائب على العائلة –على حد تعبير الكاتبة _ليصل عددالبنات إلى ثماني بنات، تكون هي أوسطهن ، وتعيش الأُسرة جواً من الحزن والترقب، فالأب فى المجتمع الشرقي يُعد أبتر إذا لم ينجب ولداً ذكراً يحمل إسمه، والأُم تشعُر بالذنب والخيبة لأنها لا تستطيع أن تنجب ولداً ذكراً يحمل إسم العائلة بل أكثر من ذلك الأُمّ باتت جزعةً، والأب ازداد قسوةً لما بشر به ، وظلت الخيبة قائمة إلى أن تغير بعد سنين عجاف حين حانت لحظة ولادة الأخ الأصغر الذي ملأ البيت بهجةً وامتلأ البيت به فرحة، هذه الفرحة لم يكتب لها أن تستمر طويلا إذ أُصيب الأخُ وهو يافع بحادث سيارة أقعده عن الحركة، تأثر الوالد وبكي فترةً من الوقت، ثم مالبث أن سعى للتزوج من عروس صغيرة شقراء جميلة تنسيه همومه، تزوج ومسؤولية البيت وتبعاته[1].

تتحدث الكاتبة عن طفولتها بقولها: فى ذلك الجو القا تم غير المرحب تعلمت معنى وجودي وقيمتي فى هذالعالم تعلمت إني من جنس شقي غير ذي نفع وقليل

[1] فيصل دراج وآخرون، افق التحولات فى الرواية دراسات وشهادات، الطبعة الاولى، دارة الفنون، موسسة عبد الحميد شومان، عمان، الاردن، 1999، ص162

القيمة ، وكوسيلة للهرب، لجأت إلى القراءة والكتابة ثم الألوان [2] وهو ما يوحي بأن الكاتبة لديها إستعدادُ فطري للبوح وللكتابة والغوص فى عوالم الخيال للهروب من واقعها الخانق.

أحست وهي صغيرة بأنه ا العب ء الكبير على الأُسرة، بينماالأخُ عومل منذ البداية كما لوكان سر استمرارا لعائلة وسعادته ا، وهكذا وعيت سح ر منذ طفولتها التمييز مابين الرجل والمرأة.

و"عائلة سحر" كانت غنية وأبوها رجلا غنيا وذا ثروة ويحتل مكانةً متميزةً بين الناس ، كان يعيش فى قصر جميل فى حي "بليبوس" فى الجبل الشمالي من مدينة نابلس، تحيط به حديقة خلابة ، وكان الأب يحب الموسيقى ويستمع إلى الغناء، فانتقل حب الغناء إلى البنات.

كانت طفولتها مليئة باللُعب والحركات الصاخبة، وكانت ذات صوت جميل عرفت منذ الأول فتاة متمردة فى العائلة، فهي ترقص وتغني فى مجتمع ينظر إلى الغناء بنوع من الحساسية والريبة، فأثارت القلق فى العائلة ونعتت"بالوقحة" ، لكنهاحين تعود إلى البيت تخلد إلى السكون لأنها تحس بوحشة خانقة، الأب منشغل بعمله، والأُم مشغولة بهموم الحمل والميلاد، لذلك حاولت أن تستبدل برودة الجو بعالم ملي ء بالخيالات والهوايات المتنوعة ، رقص وغناء وموسيقى ورسم، وقراءة القصص المليئة بالأحداث المختلفة، تقصهاعلى أقران الطفولة على أنها حقائق فـتصدقونها كما تصدقها هي.

[2] كمال قاسم فرهود. موسوعة أعلام الأدب العربي فى العصرالحديث. حيفا، المجلد الاول ص، 158-159

تنقلت بين المدارس المتعددة، فترة الإبتدائية قضت معظمها فى مدرسة الخنساء الإبتدائية فى نابلس، 1949-1953م، فمتوسطة صهيون، القدس، 1954-1955 وفترة الثانوية قضت معظمها فى كلية راهبات الوردية للتأمين، عمان، 1955-1959، وعن تلك الفترة الحرجة فى عمر كل فتاة كانت تواجه مشاعر الرفض من الأُم بالشيطنة والتمرد، وكانت الأُم توجهها بقسوة خوفاًمن أن تقوم سحر بعمل مشين أو مخل فى نظرالمجتمع.

كانت مراهقتها صعبةً لأبعد حد، دخلت فى حب مراهق مع إبن الجيران وتكتشف بأن الحب ليس وقاحةً كما ينعته الأهل والنأس ، وفى تلك الفترة قرأت كثيراً ورسمت كثيراً ورقصت وغنت وملأت الدنيا ضجيجاً، وأزعجت الآخرين، فأبكوها وأحبت وكرهت فعاقبوها فتمادت حتى كادت أُمها تفقد عقلها خوفاً منها وخوفاً عليها، فوضعتها فى مد رسة داخلية للراهبات وتعمدت أن تكون صارم ة، ولكنه ا فشلت فيها لم تفلح أُمها فيه، فلم يجد الأهل حلاً سوى الخلاص من هذه المصيبة، عن طريق تزويجها بعد أن أنهت دراستها الثانوية، وعانت أُمها منها كما عانت هي من أحاسيسها المتطرفة، غادرت مع زوجها إلى ليبيا وهناك بدأت مرحلة جديدة فى حياتها، اكتشفت فيها أن زوجها مقامر وسكير، كان يشك بها ويغار منها ويمزق كتبها ويمنعها من القراءة والكتابة، ويضربها عندما يعود ليلاً إثر مقامرة خاسرة، وهذا الرجل حطم قلبها قبل أن يحطم رأسها.

زواجها كان كابوساً، أفاقت يوماً، وكانت فى الثامنة عشرة، فوجدت نفسها مقيدة إلى رجل هو أبعد الناس عنها، وبالإضافة إلى بعده النفسي والعاطف ي والفكري فقد كان مقامراً مدمناً مما جعل حياتها الزوجية حطاماً لا أمل فيه.

فمن ناحية فقد منحت طفلتان جميلتان هما لينا ونوار أشبعتا عواطفها وحاجتها للدف ء وحنان الأمومة، ومن الناحية الثانية، أُتيحت لها فرصة تركيز طاقاتها على القراءة ورسم الوجوه.

فأثناء غيابه المتواصل ما كان باستطاعتها سوى إنقاذ نفسها من ضيق المكان بعالم الألوان والكلمة، وقد عاشت هذين العالمين بكل أشواق قلبها المحروم.

ومنها تعلمت عن الحياة والناس ، ووثقت بما جاء فى الكُتب، وأصبحت حرةً فى إختيار موقفها من أية فكرة أو شخصية، دون وجود أحد يأمرها أو ينهاها عن الإحساس أو التفكير فى أي إتجاه.

كما أنها اكتشفت أنها قادرة على تغيير ملامح وجهها مع كل كتاب وكل مؤلف.

وقدعانت سحر وجاهدت السنة تلو السنة حتى يستمر الزواجُ ويظل البيت قائماً من أجل البنتين ومن أجلها، ولكنها لم توفق، وانتهى الزواج بعد ثلاث عشرة سنة وكانت فى الحادية والثلاثين.

ومهما بلغ الزواج التعس فى الوقاحة ، لم يدفع سح را إلى الإحباط واليأس والاستسلام للواقع فاستغلت وقتها فى القراءة والرسم والتعلم، ودرست السكرتاريةِ، وتعلمت الطباعة، وعملت فى إحدى الشركات، وجمعت مبلغاً من المال إستطاعت من خلاله العودة نهائياً إلى نابلس، ومن ثم طلقت زوجها لأن العصمة كانت بيدها كما ينص على ذلك عقد الزواج، مع العلم بأن زواجها استمر ثلاث عشرة سنة، فكان زواجاً تعيساً وحزيناً خلال السنوات الثلاثة الأخيرة من زواجها، بدأت تهيُّ نفسها للمستقبل الأدبي، فقامت بعد محاولات شعرية، ثم باشرت بكتابة

الرواية، وكانت روايتها الأُولى بعنوان "بعد الهزيمة"، ولكن صودرت منها على الجسر أثناء محاولة إدخالها لتطبع فى الداخل.

عادت إلى نابلس، وفى هذ هالأثناء نشرت روايتُها الأُولى "لم نعد جواري لكم" بدار المعارف فى مصر وكان ذلك عام 1973م، وكان لها أثر كبير على حياتها، إذ كانت الحد الفاصل مابين الزواج والأدب، وعندما عادت إلى نابلس رفضت العائلة الطلاق لأن طلاق المرأة يُعد نوعاً من العار فى المجتمع الشرقي ، ولكنها أصرت على قرارها ولم تتراجع عنه، وسكنت فى قبو منزل والدها وعملت على إنشاء حضانة للأطفال، وأصبحت مع مرورالوقت روضة أطفال، فمكنها هذ ا المشروع من العيش دون مساعدة أحد وفى شهر آيار عام 1972 غادرت سحر زوجها وليبيا إلى غير رجعة، ووجدت نفسها تعود إلى البداية ولكن بمس ؤوْليات وهموم وطموح أكبر من إمكانياتها بكثير.

تقول "سحر فى سيرتها: بـأن هناك ثلاثة أحداث رئيسية غيرت نظرتها إلى الحياة، بحيث مكنتها تلك الأحداث من تفهم موقف امها بشكل صحيح،

الأول: كان حادث سيارة وقع لأخيها الوحيد وهو فى السادسة عشرة، فقطع نخاعه الشوكي وتركه مقعداً مشلولاً طوال حياته ، تلك الفاجعة أدت إلى تفكك عائلة وتدمير روابطها المتينة ، إذ على أثرها فقدت أُمها رغبتها فى الحياة، أماأبوها فبعد بكاءشديد إستمر لأيام وأسابيع، إستفاق فجأة، واستعاد نشاطه وحيويته، والثاني: ترك الوالد الإبن للمنزل وبدأ بالبحث عن عروس صغيرة شقراء جميلة، وتوسلت إليه سحر كى يرحمه، ولكنه رفض وصمم على الزواج. [3]

[3] أعلام الأدب المعاصر، مصدر سابق. 565-566

تُوفى الأب بعد ذلك، فكانت الم أساة الثانية على الأم التي ازدادت يأسا وقنوطاً، وأصبحت كالدار المهجورة من غير حياة.

فاكتشفت سحر، أن أمها، مثلها، ومثل كل النساء، وأخواتها، وكل الأخوات، محض ضحية ، وفى م أساة أمها ومأساتها شاهدت مآسي كل النساء، وعبرالقيم، وعبرالقانون، والخضارة وهكذا باتت سحر كأي إمرأة تطمح للتغيير.

الثالث هزيمة حزيران 1967م، واحتلال اسرائيل لما تبقى من أرض فلسطين منها إكتشفت أن الهزيمة السياسية ماهي إلا إنعكاس للهزيمة الحضارية.

قرأت سحر خليفة الكتب الوجودية وتاثرت بها، ويبدو هذا واضحاً فى روايتها الأولى"لم نعد جواري لكم" ولكن هذا لم ينسها واقع الوطن الذي يئن تحت وطاءة الاحتلال الصهيوني، وخصوصا بعد فشل حركة التحرر الوطنى العربي بعد هزيمة حزيران 1967م، وتعاني سحر من الاحتلال ما تعاني، فتعيش هموم الناس، وتشاهد آلاف المشردين والمطرودين والمهجرين من أر اضيهم، فيؤ ثر ذلك فى نفسها أشد الأثر.

منذالبداية كانت سحر تعرف ما تريد، تريد أن تصبح أدبية وذات دخل ثابت، فهذا ماتريده بإختصار ، لذلك سعت نحوه مباشرة ودون تردد، فانتظمت فى جامعة بيرزيت كطالبة فى دائرة اللغة الإنجليزية وأدابها ، فتعود سحر تلك الطالبة المنطلقة من جديد، تغني ، وترقص، وترحل إلى رام الله قريبا من الجامعة، وفى الجامعة تشرف على نشرة الطلبة، وتكتب الأغاني وتلحنها، وتهتم بالمسرح والتمثيل، وفى الجامعة تعيش قصة حب جديدة تستمر أربعة سنوات ، تكشف بعدها أن الرجل الذي أحبته ككل الرجال أناني لا يحب إلا نفسه، وفى هذه الفترة تندفع سحر إلى حياة

الناس والعمال وتصدر عملها الثاني "الصبار " عام 1976 الذي يجسد وعياً اجتماعياً وسياسياً تفضح من خلال النظم الطبقية الموجودة فى المجتمع.

وحصل ت على درجة البكا لوريوس فى الأدب الإنجليزي، ومن ثم أصدر ت عملها الثالث عباد الشمس عام 1980م بدعم من الجامعة، وحصل ت بعد ذلك على منحة لدراسة الماجيستر عام 1981م فى ولاية كارولينا الشمالية الأمريكية، وحصلت على درجة الماجيستر فى الأدب الإنجليزي والا أمريكي، وأصدر ت بعد ذلك روايتها الرابعة مذكرات إمرأة غير واقعية عام 1986م، وهي أشبه بالسيرة الذاتية ، وتلتحق بعد ذلك بجامعة "أيواء" وتشارك فى برنامج الكتاب الدولي حيث تهيّ ء لها الجامعة كافة التسهيلات من أجل الكتابة والتحاور وتبادل الخبرات.

ومن ثم تحتضر لبرنامج الدكتوراة حيث تتخصص فى العلوم الاجتماعية والإبداع ، وختمت هذالبحث بقصة حياتها الذي اعتمدت عليه بشكل كبير فى الحديث عن سيرتها الذاتية، وتعود بعد ذلك إلى عمان، ومن ثم إلى نابلس وتقيم مع بعض صديقاتها مركزا للدراسات "مركزالدراسات النسوية" عام 1989م، وتصدر مجلة فيها تحمل إسم"شؤون المرأة" صدر عددها الأول عام 1991م.

وفى أثناء عملها فى المركز تصدر روايتها الخامسة "باب الساحة" عام 1990م من قلب الإنتفاضة فتتحدث فى هذ االعمل الروائي الذي يعتمد على الاستبيان عن هموم المرأة التي زادت مع الانتفاضة ، وتتابع سحر عملها الكتابي فتصدر عام 1997م رواية "الميراث" بعد اتفاقية اوسلو، تنتقد فيها الاتفاقية حيث ما تزال الحواجز قائمة ونقط التفتيش، والشعب الفلسطيني يعاني من الفقر والبطالة والضياع ، وتصدر بعدها رواية "صورة وأيقونة وعهد قديم"عام 2002م وفى هذه الرواية تعالج قضية

القدس التي تتعرض للسلب والتخريب والتهويد وصولاً الى تدمير هويتها العربية الاسلامية، ومن ثم تصدر آخر روايتها "ربيع حار" رحلة الصبر والصبار" بعد انتفاضة الأقصى وحصار مقر الرئيس ياسر عرفات فى رام الله عام 2004م.

وبذلك يكون للكاتبة إمتداد زمني كبير وواسع، مرت بمراحل مفصلية فى تاريخ القضية الفلسطينية، بداءً من عام 1974م وامتد إلى عام 2004م بدء بذلك بإصدار روايتها الأ ولى "لم نعد جواري لكم" من قبل دارالمعارف فى القاهرة عام 1974م، وصدرت الطبعة الثانية لهذه الرواية عام 1988م من قبل دار الآداب فى بيروت ، ومن ثم صدرت روايتها الثانية "الصبار" عن دار الجليل عام 1976م فى مدينة القدس، وصدرت الطبعةالثانية عن دار ابن رشد عام 1978م فى بيروت، وصدرت الطبعة الثالثة منها عن دار الجليل عام 1984م فى دمشق، وصدر منها طبعة عن دارالآداب فى بيروت دون تاريخ ودون رقم طبعة ، ومن ثم صدرت طبعة ثانية عن دار الآداب عام 1999م، وفى نفس الفترة تلتحم الكاتبة مع العُمال الفلسطنيين الذين يعملون فى المصانع الإسرائلية وتتعرف إلى مشاكلهم اليومية، ومصاعب الحياة التي يواجهونها.

أصدر ت بعد ذلك روايتها الثالثة "عبادالشمس" الطبعة الأولى عن دار الكتب عام 1980م فى القدس. وتصدر أيضاً عن منظمة التحرير الفلسطينية دائرةُ الإعلام والثقافة عن دار الفارابي فى بيروت عام 1980م، وهي الطبعة المعتمدة فى هذه الدراسة ، وتصدر طبعة ثانية عن دار الفارابي فى بيروت عام 1985م، ومن ثم تصدر طبعة ثالثة عن دار الآداب بيروت عام 1987م، حيث تعد رواية "عباد

الشمس" الجزءالثاني المكمل لرواية "الصبار" وتمتد فـيها شخصيات من رواية "الصبار" من مثل سعدية ونوار الكرمي وعادل الكرمي. . الخ

وأصدرت بعد ذلك الطبعة الأولى من روايتها الرابعة "مذكرات امراة غير واقعية" عن دارالآداب عا م 1986م فى بيروت، وتصدر بعد ذلك روايتها الخامسة الطبعة الأولى "باب الساحة" عن دارالآداب عام 1990م فى بيروت، تحدثت فـيها الكاتبة عن هموم المرأة التي زادت خلال هذه الفترة.

وأصدر ت بعد ذلك روايتها السادسة "الميراث"، الطبعة الأولى عام 1997م عن دارالآداب، وهي الطبعة المعتمدة ف ي هذه الدراسة بعد إتفاقية اوسلو ، ومن ثم تصدر بعد ذلك روايتها السابعة "صور وايقونة وعهد قديم" عن دارالآداب فى بيروت عام 2002م الطبعة الأولى ، وهي الرواية المعتمدة فى هذه الدراسة وأخيراً تصدر روايتها الثامنة "ربيع حار" بعد انتفاضة الأقصى عن دارالآداب فى بيروت عام 2004م.

وعلى أي حال كانت عائلتها التي قمعتها قد أضحت متفرقة، تزوج الأب إمراة أخرى ثم توفى ، والأُم أهدت إبنتها هموم الدنيا والأخ مصاب بالشلل إثر إصابته بحادث سيارة وأخواتها بعضهن متزوجات وبعضهن يخططن للزواج وسحر وحدها ضد العالم وفى رقبتها مسؤولية طفلتين وحلم كبير تريد تحقيقها.

وخلال عام 1978م، تلقت دعوةً من برنامج الكتاب العالمي فى جامعة إيواء بقيت هناك أربعة أشهر أنهت خلالها كتابة القسم الأكبر من رواية عباد الشمس التي ترجمت إلى لغات عدة ، ثم واصلت سحر خليفة مشروعها الروائي الذي سأذكره فـي هذه الرسالة العلمية.

من خلال ما ذكرنا في السطور السالفة من مسيرة سحر خليفة لاحظنا أن سحر خليفة عاشت ظروفا سيئة فى حياتها الأُسرية والزوجية فهي كما بيننا نشأت فى أُسرة تضم ثماني بنات وأخاًعاجزاً تلا ذلك زواج مبكر فاشل تجرعت مرارا تـه ثلاث عشرة سنةً ثم تداخلت مآسيها الخاصة مع م أساة هزيمة حزيران وماتلاها من أحداث مأساوية هزتها كما هزت الجسد العربي.

كُل ذلك جعل عذابها المكثف جوهر كتابتها وتعاملت سحر بفكر خاص مع الهزيمتين السياسية والاجتماعية وعدتهما نابعتين من وضع عربي تراجيدي.

من خلال رواياتها نلاحظ أن سحر تركز على إشكالية المرأة وأن المرأة تشكل مركز رواياتها فهي حتى عندما تقدم حركية الشعب الفلسطيني منذ هزيمة حزيران 1967م إلى مابعد " أوسلو" تبرز أيضاً قضايا المرأة على أساس "أن تحرير الشعب لا يتم إلا من خلال تحرير المرأة".

ونلاحظ كذلك أن جميع العلاقات القائمة بين المرأة والرجل فى رواياتها تكون غير مثمرة بسبب الرجل الذي يتخذ سلطته وسيلة لل تسلط على الأُنثى وأن المرأة دائما فى نظرها هي مظلومة، لذلك ركزت سحر على المرأة تركيزا كبيرا.

نالت الكاتبة العديد من الجوائز العربية والعالمية، وأهمها جائزة البرتومور فى الأدب المترجم للإيطالية، جائزة ثيرفانتس للأدب المترجم للإسبانية، جائزة نجيب محفوظ عن روايتها" صورة وأيقونة وعهد قديم" وجائزة سيمون دي بوفوار التي رفضتها لأسباب وطنية، أُسلوبها الروائي حساس ومقتصد وشفاف ولاشك والشي

المهم فى رواياتها أنها تكتب بالعربية الفُصحى، ف إن لها قدرة عجيبة على إستعارة العامية الفلسطينية وتعبيراتها الدارجة عندما يقتضي حال الحوار فى الرواية. [4]

وما يلفت النظر هو أن غالبية روايات "سحرخليفة" ترجمت إلى أكثر اللغات العالمية بما فيها الانجليزية، والإيطالية والماليزية وخاصةً ترجمة أعمالها الروائية إلى الألمانية، وتعد رواياتها جديرة بالدراسة، والترجمة لما تتضمن من مضامين إنسانية، وحضارية، وعالمية مثل مقاومة ا لاحتلال، وتحرير المرأة، وغيرذلك من الموضوعات، والقضايا التي تهم الشعوب ، فليس من العجيب إذ تأتي إبداعاتها فى المرتبة الثانية من حيث الترجمة بعد نجيب محفوظ.

وقد صدرت لها عدة روايات أمثال "لم نعدجواري لكم(1975م)، الصبار(1978م)، عباد الشمس(1980م)، مذكرات إمراة غيرواقعية(1988م)، باب الساحة(1991م)، الميراث(1998م)، صورة وأيقونة وعهد قديم(2002م)، ربيع حار(2004م) وذلك بالإضافة إلى الكتب والمقالات والدراس ات الجامعية التي تطول بذكرها الصفحات.

[4]- انظر، كتاب فى الجريدة، العدد158 5 تشرين الاول 2011

الفصل الثاني:

العوامل المؤثرة فى حياة سحر خليفة:

عند الحديث عن الروائية النابُلسية (سحرخليفة) تظهر على السطح الذهني والأُفق الفكري للباحث الجامعي، صورة العوامل التي أثرت على عقولها، حيث حولتها من إمرأة تلتزم بالثقافة التقليدية الفلسطينية، وتعني بش ؤون الأُسرة، وتـؤدي دورها الفعال كزوجة وربة بيت إلى مرأة تخرج بصراحة على فكر الاحتكار الذكوري بالمُجتمع البشري المعاصر، وتُدافع عن قضايا المرأة على كافة المستويات الإجتماعية.

قضية أوضاع المرأة الفلسطينية وحقوقها، وقضية الصراع الطبقي، وقضية الفقر والبطالة، وقضية العمالة للمحتل، مع ما تتفرع عنه كل قضية من هذه القضاياعن قضايا متعلقة بها، ومن ثم قضية التمييز بين الجنسين، وقضية العنف الأُسرى، وقضية الزواج والطلاق، والميراث، وعمل المرأ ة هي بدورها أثرت على مستوى عقول "خليفة" وقد أفردت فيها يلي البعض:

أوضاع المرأة والأُسرة الفلسطينية:

ولعل من صميم العوامل التي لها أثر بعيد المدى فى حياة الكاتبة المناضلة "سحرخليفة" هو تردي أوضاع المرأة العربية عامة والفلسطينية خاصة، ورغم أن المرأة تشكل نصف المجتمع كماً وكيفاً إلا أنها تعامل كأقلية [5] وليس بعيدا من الحقائق لوأقول: إنه نشأ ت المرأة العربية، ولاسيما الفلسطينية منها فى مجتمع بني جزء أساسي

[5] عزيزة على، سحرخليفة:أدبي يصنف كأدب مقاومة وليس أدب إستسلام أو تعايش أوتطبيع، مقال، جريدة الحياة الجديدة، العدد 4715، 2008، www. AL-Hayat-j. com/printnews. php

من تاريخه المعاصر على الصراع ضدالإستعمار والصهيونية، والاحتلال الغاشم، والاعتقال القسري، وقامت معاول الاحتلال عام 1948م بالتدمير، والتهجير، والتنكيل، واستمرت سياسة القمع، والإستيطان، والتجهيل، عقوداً طوال مما انعكس أثره سلباً على المجتمع الفلسطيني، الذي عانى من الفقر ، والتشتت ، كماعانى المجتمع من بعض ترسبات الجاهلية، كتسلط النظام الأبوي العشائري، وعانى من سلطة العادات والتقاليد التي بنت حاجزاً منيعاً فى وجه التغيير طيلة أكثر من نصف قرن من الزمان ، فالفلسطيني يحاول الثبات على أرض صلبة، ولديه الإدارة، والقدرة على التغيير إن أراد، لكن السلبيات المحيطة به تقف عائقا بينه وبين تحقيق نجاحه المنشود على المستوى الفردي والجماعي.

ساهمت الأزمات السياسية فى البلاد العربية وتبعية الزعامات العربية للأنظمة الدولية المسيطرة فى تكريس الشعور بالُظلم، والتخاذُل، وضياع الشعور بالانتماء، فالمجتمعات العربية تعاني مما يعاني منه المجتمع الفلسطيني، فهو يعاني من سطو العا دات والتقاليد، وإزدواجية المعايير فى التعامل بين الرجل والمرأة، والعنف الجسدي والنفسي الذي يُطال الأطفال والنساء، فالتسلط الذكوري فى المجتمع الفلسطيني لا يعترف بحرية المرأة، ولا يتيح لها تلك الحرية إلا بشروط تتعلق بأهوائه ومزاجه، مما يعمق الفجوة بين الطموح المنشود والواقع، أكسبت هذه المعطيات وهذه التحديات الأُدباء فى فلسطين العديد من الخبرات، فتنوعت وتعددت الكتابات والوجهات الأدبية التي إنطلقت تعالج تحديات الواقع بقدرات متفاوتة ، وقدأثبت الأدب الفلسطيني وجوده فى مجالات عديد ة كالشعر والرواية والقصة القصيرة، وتُعد الكاتبة الروائية سحر خليفة إحدى أهم العلامات المميزة فى عالم الرواية الفلسطينية، إذ استطاعت عبر نصوصها الروائية أن تعبر عن الهم الإجتماعي بشكل مختلف عن محاصريها، ممثلة أهم قطاع

المرأة، تتفتح روايات الكاتبة على الواقع العربي للمرأة الفلسطينية، وتربط فى رويتها الإبداعية بين تحرر الوطن وتحرر المرأة، وداعيةً إلى أن مهمة الوعي الجمالي الروائي إنتاج وعي عام جديد من خلال تحريض الوعي العام على تجديد أدواته ومفاهيمه حتى يصبح أكثر فعاليةً وتفاعلاً مع حركة الواقع لذلك كان لا بد وأن تحتل قضية تحرير الوطن وقضايا الديمقراطية، المساحة الأكبر فى النضال من أجل بناء مجتمع فلسطيني قائم على أُسس العدالة والمساواة لجميع أبنائه رجالاً ونساءاً [6] وكان من الطبيعي فى ظل تلك الأوضاع الصعبة التي عاشتها المرأة الفلسطينية بأجمعها بعد النكبة ألا تنفصل قضية تحررها عن القضية الوطنية الوحيدة.

وقد تميزت ظروف المرأة الفلسطينية سواء داخل الوطن أوخارجه بخصوصية معينة تبعاً لحركة الواقع الفلسطيني والعربي عموماً والتحولات الطارئة على مسار القضية المركزية، فقد عاش الفلسطينيون فى الشتات "ظروفاً إستثنائيةً فى ميداني السياسة والتعليم، ففى السياسة كانوا خاضعين لأمزجة الأنظمة العربية، ومواقفها المتذبذبة من القضية ، أما فى التعليم فلم يتلق الفلسطينيون تعليماً موحد المناهج والأساليب، فهم تابعون لأنظمة التعليم السائدة فى الأقطار العربية التي إستقروا فيها" [7] وكان لذلك أثره الواضح فى الشخصية الفلسطينية ولاسيما شخصية المرأة بالإضافة لتأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية مما كان له أبلغ الأثر فى التجمعات الفلسطينية، وفى وعى المرأة ودرجة تجاوبها مع الأحداث المستجدة.

أما الفلسطينيون كعامة والذين عاشوا تحت الاحتلال(1948-1967) فكانت معاناتهم بالغة القسوة، ومن الصعب على المرء أن يدرك مدى المعاناة التي تعيشها

[6]- الصايغ، مي :المرأة العربية-الواقع والتطلعات"مجلة النهج. دمشق العدد/41/لعام 1995ص 100
[7] أبو مطر، د. أحمد: الرواية فى الأدب الفلسطيني ص9-10

المراة الفلسطينية، والشعب بأسره، مالم يعش ذلك الواقع الممض، حيئنذ تتجلى له الحقيقة: حقيقة الألم الإنساني الهائل الذي يصقل ويحرق ويضي. . . حقيقة الحزن الباهظ الذي يكابده إنسان إستيقظ ذات يوم، فـإذا هو أقلية مسحوقة فى وطنه، بعد أن كان شعباً مشحوناً بالحياة، يعمل ويبني، ويُعد للمستقبل. . فأصبحت الحياة عبئاً ثقيلاً حين أصبح غريباً مضطهداً يعاني التمييز فى تفاصيل حياته اليومية، وهذا ماجسدته روايةُ الأرض المحتلة بصورة عامة.

وعلى الرغم من هذه الخصوصية التي تميز المر أة الفلسطينية عن شقيقاتها العربيات، كان رشاطُ المرأة العربية الفلسطينة ودرجة تقدمها يرتبطان ارتباطا وثيقاً بنشاط وتقدم المرأة العربية فى كافة الوطن العربي.

إن الروائي الفلسطيني بل أي روائي حين يقدم الواقع، فإنه لايقدمه كما يكون هو ، بل إنما يحاول "إعادة ترتيبه بما يتناسب مع آمال الشعب وأهدافه، فالنظرة الواقعية عنده ليست إستنساخاً بليداًللواقع، وإنما يحاول إعادة ترتيبه بما يتناسب مع آمال الشعب وإنما هي اكتشاف للملامح النمطية والنموذجية فى الحياة، والمعبرة عن جوهر صراعاتها ومواقفها وحركاتها النشطة، بكل ماتتضمنه من عذابات و انتصارات ومشاق وإمكانات منهارة أومتولدة.

ومنطلقاً من هذه عنيت الكاتبة الفلسطينية بتصوير العلاقة بين الرجل والمرأة، وإبراز المكانة التي تحتلها المر أة فى عالم الرجل، ولاسيما المثقف الثوري، ومن ثم عرض دور الآباء الذي يقوم ون بدور المتسلط ين الظالم ين فىعيق ون مسيرة الفتاة، ويقوض ون أحلامها منذ الطفولة، ويغرس ون فيها بذور التناقض بين ذاتها الفردية والذات الجماعية التي يباركها المجتمع ويتقبلها أفراده ولعل رواية "مذكرات إمرأة غير

واقعية" لسحرخليفة، هى إحد ى الأعمال الروائية الفلسطينية القليلة التي اعتنت بهذ ه الأسوة من الآباء، ولكنها أيضا، إحدى أقوى الحسابات الروائية الفلسطينية إستيعابا بقضايا المرأة العربية المنتمية إلى الطبقة البرجوازية، وما يطير نومها ويخرب راحتها من الطفولة الى مرحلة ما بعد الزواج ، وقد نسبت الكاتبة كل ذلك إلى الدور الذي يقوم به الأب التقليدي والمجتمع المتردي المتخلف.[8]

المرأة فى الموروث الاجتماعي:

ومن أهم القضايا التي شغلت بال "سحرخليفة" منذ الطفولة وتمثلت فيها كأهم الدوافع للخروج على تقاليد المجتمع الذكوري، هي تيارات التمييز بين الجنسين المتفاقمة فى المجتمع الفلسطيني، وطرحتها الكاتبة فى كتاباتها بأساليب عدة ومواضيع عدة ، والمنظومة الاجتماعية تفرض مجموعة أساليب قمعية تقهر الإرادة الأُنثوية، وتسعى لأجل مصادرة إختيارات المرأة منذ الطفولة، يتجلى ذلك من خلال حرمانها من اللعب جهراً، ومع الذكور، والظهور والانكشاف من دون ستر، والفصل أوالعزل الجنسي فى مرحلة الصباء، وتحديد حركة الفتاة وخروجها من البيت، وحرمانها من التعليم ومواصلة الدراسة والعمل، ومصادرة حرية اختيارها للزوج ومن مظاهرها أيضاً: ضرورة الإنجاب "وإن لم تنجب الزوجة بعدعام يصبح الزوج وأهله يفكرون فى طلاقها والمجيئ بأ خرى لان الإنجاب يُعتبر الثمرة الأُولى من الزواج" [9] ومنها الفرحة لولادة الولد والاستبشار بمقدمه خيراً، كمالا يقوم الولد بأعباء البيت بينما تقوم بها البنت، ولا يحق للبنت أن تسأل عن أُمور الزواج الخاصة بها بينما الولد

[8]-خليفة، سحر:مذكرات إمراة غيرواقعية، دارالاداب ط128/1992/2

[9] محمد بكرالبوجي، اصول الأغنية الشعبية العربية فى فلسطين، مكتبة القدس، غزة، 2013، ص 256

يسأل، وتتزوج البنت القاصر ة دون مراعاة السن، والنضوج العقلي والنفسي، وعليها أن تطيع زوجها، وتهتم بخدمته، وخدمة أهله، إن وعى المرأة بجسدها يتشكل وفق الصورة التي يريدها المجتمع لها" [10] والمرأة فى المجتمع التقليدي عليها أن لا تنجب البنات إذ إنهن "لسن فى عداد الخل قة فى المعيار الاجتماعي" [11] ومن هذا المنظور تشكك نهلة وتؤكد فتنة أن المولود ذكر فى رواية "الميراث":

"ولى العهد؟. . ويمكن ولية "فال الله و لا فالك "صاحت فتنة" [12] إذن ترغب المرأة بـإنجاب الذكور ك ى تنال رضا زوجها وأهله، والمرأة عدا هذا وذاك عليها أن تحتمل كل ما يصدر عن زوجها من بخل وتعنت وظلم، عليها أن تطيعه وتكتم سره، وإذا مات لا يحق لها أن تطالب بالميراث وان كان حقاً لها.

ومن خلال كل هذه الممارسات يتجلى قهر المرأة كظاهرة مركزية من ظواهر التخلف وقيمة الموروثة عن العصور القديمة، تعيد إنتاج القهر فى النظام الاجتماعي برمته فالمرأة المقهورة مستلبة الإرادة.

تجسدت الكاتبة ذلك الموروث وتأثرها به فى رواياتها بشكل عام، إلا أن هذا التأثر يبدو أكثر وضوحاً فى "مذكرات إمراة غير واقعية" إذ ارتبط النص السردي بالعديد من الخبرات التي عايشتها الكاتبة وعانت منها فركزت على أحداث ومواقف متنوعة توضح الآثار السلبية للسلوكيات الخاطئة التي يمارسها المجتمع ضد المرأة.

التفريق فى المعاملة بين الجنسين منذ الصغر:

[10] عبد الله كاطم وسالم كاطم، الانثى تبوح بسيرتها إشكالية البوح وأنماطه فى كتابة السيرة الذاتية النسائية، مجلة القادسية، المجلد الخامس عشر، العدد1، 2012، ص29

[11] فاطمة مختاري، الكتابة النسائية أسئلة الإختلاف وعلامات التحول، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ص 288

[12] سحرخليفة، الميراث، الطبعة الثانية، دارالآداب للنشروالتوزيع، بيروت، 2007، ص 76

منذ الزمن الغريق فى القدم مازال المجتمع البشري يمارس التفريق فى المعاملة بين الجنسين وذلك منذ الولادة، مما يؤثر سلبا على مستوى عقول الفتاة نفسيا، ومن أهم الدوافع التي جعلت "سحر خليفة" كاتبة متميزة من بين مثيلاتها، حيث كشفت الستار عن مثل هذه السلوكيات الزائفة والسائدة بالمجتمع، ولم تتوقف إلى ذلك الحد ولكن ذهبت إلى بعيد ، وترى الكاتبة أن مثل هذه السلوكيات ترسخ مبدأ التمايز الذي يمارسه المجتمع والأهل ضد المرأة، تصور عفاف فى هذا المقطع من "مذكرات امرأة غير واقعية" مظاهر الاحتفال بقولها: "جاء الولد وامتلأت الدار بالزغاريد والشموع وملبس الأفراح وتفريق العملة على الأطفال والفقراء وفى الصباح والدار مازالت مخدرة برائحة الشمع، وعطر الملبس والبخور اجتمعت البنات حول القابلة وهى تفتح اللفة عن سر الفرح ، كانت قطعة لحم معجونة برضوض زرقاء وحمراء ورأس ممزوج الشعر منتفح الملامح وقفنا نتدافع حتى نرى ونفهم التفسير فكانت زبيبة عابثتها القابلة وأطلقت زغرود فصاحت قطعة اللحم وأطلقت نافورة ماء كالنشاب وهللت القابلة "كولونيا يابنات كولونيا" وفتحنا أكفنا الصغيرة نتلقى لكولونيا ونمسح بها الر ؤوس والجباه والعيون حتى دمعت "[13]يبدو المشهد مبالغا فيه ، يتحدث عن تقاليد أضحت بالية، ربمايكون فيه شي من الواقعية، فالصورة السابقة للاحتفال تجسد تقديس الذكورة، وتكرس مبدء التمييز بين الجنسين لنا أن نتخيل كون النساء مرحبات بالقادم لأنه ذكر وسيكون له شأن وسيرفع من شأن العائلة، ولكننا نضع حول مظاهر الاحتفال تلك علامات إستفهام، فالطقوس السابقة تمارسها نساء العائلة كألام والداية بموافقة الأب، هذا يعني أن الكاتبة تدين مساهمة النساء اللواتي يساهمن بشكل فعال فى تكريس التمييز.

[13] مذكرات امراة غير واقعية ص 19، 20

وعن منع اللعب خارج البيت مع الأولاد تقول عفاف التي اكتشفت هى وابن الجيران مغارة أصبحت ف يهابعد مكاناً أثيرا للعب: "فى المساء حكيت لامي وقلت: كم هي جميلة مغارتنا، منحوتة فى الصخر مثل الخزانة، لعبت الغماية ف يها. قالت "من مع؟" قلت "مع ابن الجيران" حملقت قليلاً ثم صاحت "لا تلعبي مع إبن الجيران ف يها، فاهمة؟" وقلت "لماذا؟" وأوردت عدة تفسيرات أوقفت الشعر فى رأسي. . [14]

كما تسرد "عفاف" الطريقة التي كان يعامل بها زوجها أخواته حين كان صغيراً فهو وحيد أبويه وهو المدلل، لذلك فله أن يفعل مايشاء دون أن يواجه باللوم : "كان قد نشأ على الدلع والدلال لأنه ذكر بين طابور إناث ، وكان كل مايطلبه يعطي له ويباح، بما فى ذلك شع ر أخواته الذي يشده حتى تتكوم الخصل فى قبضته، وكانت له رفسه شلوت مميزةً يمارسها مع أخواته الصغيرات . . . ليثبت لى أنه حمشاً، منذ الطفولة وأن العائلة. . . والعالم كله قدأخذوا هذا الأمر بشكل مسلم به، والأمر هو أنه جوهرة البيت وزينة أخواته وقرة العين ومحروس العيلة"[15].

قيمة المحافظة على الزوج والموروث الاجتماعي:

طاعة المرأة للزوج ولو قسرياً من أهم ما تعرضت له "سحرخليفة" ورأت منذ الصغر، أو عانت ماعانت كمتزوجة، وفى نفس الصدد تورد الكاتبة حكاية من التُراث الشعبي يكرس بها الأهل قيمة الزوج عند الزوجة، ولعلها إحدى الحكايات العديدة التي تقدس العلاقة الزوجية، وتركز على أهمية طاعة المرأة للزوج قائلة: "تعلمين هذه القصة يا عفاف؟ إمراة استشاطت غضبا من زوجها و رجعت إلى خيمة والدها وأنكرت

[14] المصدرالسابق ، ص 141
[15] المصدرالسابق ص 48

كل وساطة . أشار شيخ القبلية على والدها مشورة فقام بتنفيذها إذ أمر النسوة أن يخلعن عن المرأة ثيابها وألا ي ضعن عليها إلا عب اءة، ناداها حيث يجلس هو وشيخ القبيلة والزوج ، وفى طرفة عين نزع الوالد عنها العباءة فهرعت من توها شطر زوجها وهي تس تنجد به "أسترني يا مستور أسترني يامستور" متى تكف هذه المرأة عن سرد القصص؟ لا فائدة ترجى، أم وليد وأُمي وخالاتي وعماتي، كلهن يرددن نفس القصص، أما أنا فأحلم بقصص أخرى.[16]

ولا يفوتها فى جميع هذه السيناريوهات القول إن الموروث الشعبي غير قابل للتغيير لدى كبارالسن، خاصة عند ذوي الفئات العمرية الكبيرة، فى المقابل تسعى الأجيال الجديدة إلى الانعتاق من سلطة القديم، وهذا ماتستنتج من القصة توردها جارة عفاف التي تمثل الجيل الذي يريد التغيير ويسعى إليه، منطلقة من استخدام الأُسلوب القصصي نفسه، الذي يكرس به الأجداد القيم فى نفوس الأبناء ، فتقول: وانطلقت إبنة الجارة تحكي قصة رجل له إبنة متعلمة جريئة، قالوا له يوماً إن بنته تجول مع الفتيان وتقوم بالأعمال التى لا ترضى الله و ما توارثه الناس من الشرع، وقيل له: تعال يارجل وانظر بعينك ، ووقف عند الجبل هناك ، وجاءت إبنته وأُخرى فى صحبة مجموعة من الشبان ، تبعهم فى آناء الليل حتى المغارة، هناك اكتشف أنهم يصنعون القنابل، وفهم الرجل واستوعب وأحس أن الدنيا بطولة لكن العيلة وشرف البنت وشرف العيلة" [17] إلا أن النساء اللواتي يمثلن الجيل الأول مالبثن بعد سماع القصة أن أكدن على أن خروج البنت مع الرجال سيكون سبباً فى بوار بنات العائلات.

[16] ألمصدرنفسه، ص 16، 17
[17] المصدرنفسه، 137

قضيتا الزواج والطلاق:

وهل ثمة مبرر لتجاوز قضايا الزواج والطلاق وأنا اتحدث عن العوامل التي أثرت فى حياة "سحرخليفة" وهى من صميم المرأة التي عانت المشكلة، اهتمت "سحرخليفة" بالدور الذي يلعبه كل من العائلة والمجتمع فى قضيتي الزواج والطلاق، وأولت هذ ا الدور عنايةً خاصةً لما له من تأثير مستمر على المدى البعيد على الأُسرة الجديدة، فالزواج المبكر، وعدم إستشارة القاصر فى أمر زواجها، وقيام ولى أمرها بإجبارهاعلى الزواج، أو الزواج المبكر لحل مشكلة كالفقر مثلاً، أو لوضع حد لتمرد الفتاة ، لا شك أن الكاتبة قد طرحت أسباباً عديدةً للزواج لم تبن على أسس سليمة ولا يترتب عليها دوام الارتباط الزوجي، إذ يتوقع له أن يتعثر وتنفصم عراه، أولى تلك الروايات التي تناولت هذا الموضوع بشغف كانت "مذكرات إمراة غير واقعية" فقد أجردت الساردة "عفاف" على الزوج من رجل لا تعرفه ولا يربطها به أي اهتمام، اكتشفت عفاف سوء أخلاق زوجها، ومعاقرته للخمر والنساء، وبسبب إهانته لها بالضرب والشتائم، أجهضت حملها بنفسها؛ لتكشف بعد ذلك أنها قد أصبحت عاقراً ، قد ناقشت أهلها وأعلمتهم بفشل علاقتها الزوجية، أرجع أهلها أسباب سوء العلاقة الناشئة بينها وبين زوجها إلى مشيئة القضاء والقدر! و أن عليها كزوجة الاستسلام لتلك المشيئة، بل لم يتوان إحدى شقيقاتها بالقول إنها أي "عفاف" فى نعمة لا تحسن إستغلالها، فهذا الزوج رغم عيوبه له مميزات يصلح إستغلالها، فهو غني وكريم معها، فماذا تريد أكثر من ذلك ، طرح موضوع الطلاق للنقاش بينها وبين أخواتهاعلى أنه حق للمرأة وللرجل حال فشل العلاقة بين الزوجين، وأن الطلاق يضع حد ا للعديد من المشكلات، لم توافقها أي واحدة منهن على اقتراحها المذموم حسب رأيهن–

فى "رواية الميراث " تتزوج فتية من الثري محمد حمدان بفضل أُمها، لأن أمها استطاعت أن تدفع عالة الفقر والمُهانة عن العائلة من خلال تزويج بناتها، بعض تلك الزيجات لم تفلح، فأخوات فتنة تركن أزواجهن وهربن، فتنة وحدها سعدت بزواجها، وقد استطاع زوجها بأمواله انتشال العائلة من بؤ س الحال التي كانوا عليها، لكنه ما لبثت أن مات دون أن تحمل وريثاً منه.

وقد تزوجت وداد القاصر فى رواية "أصل وفصل" ابن خالها الغني رغبة من والدتها فى الثراء الذي يتمتع به أخوها العائد من السعودية، ولكن إبنه لم يكن الزوج يسكن إلى زوجته فهو يحب النساء والسهر، ولما لم يجد زوجته تملك حظاً من الجمال؛ عاد إلى حياة اللهو والطرب فى النوادي الليلية والخمارات، وانتهى الزواج بالطلاق.

وتلك حالات من الزواج غير المتكافئ لم يكتب لها النجاح، إن أغلب حالات الزواج تنتهي بالفشل فى روايات الكاتبة –وإن لم تنته بالطلاق– إذ يبدو أن الكاتبة تلوي عنق النص دائماً ليلبي فكرتها المبنية على أساس نقض مفاهيم المجتمع حول السعادة الزوجية، كأنها تريد القول إن باقي النسوة ممن بقين فى عصمة أزواجهن لم يكن جريئات فى طرح موضوع الطلاق، فتفشل غالبية العلاقات الزوجية التي تناولتها الكاتبة، إن إظهار تبعية المرأة للرجل فى كل حالة، يطرح تساؤلات عدة حول سلبية المجتمع أو لربما يطرح إشكالية الكاتبة نفسها مع الزواج، يبدو لى أن إشكالية الكاتبة مع الزواج هي الأقرب للطرح.

الطلاق فى المجتمع الفلسطيني:

الطلاق وهو أمر مذموم فى المجتمع الفلسطيني، يتحمل تبعاته كل من الرجل والمرأة، لكن وقعه على المرأة أشد ضررا من وقعه على الرجل، المرأة المطلقة يقع عليها إجحاف كبير ، لأنها تتحمل المس ؤولية بسبب وقوع الطلاق، ثم من الصعب أن تجد المرأة شريكا آخر أو تفهماً من المجتمع ، قدمت الكاتبة فى رواياتها صورة عن المرأة التي تريد الطلاق، تخوفاتها من اتخاذ مثل هذه الخطوة المصيرية، وسبب امتناعها عن اتخاذ هذه الخطوة غالباً، وإن كانت ترغب فيها حلاً لمشاكلها الزوجية.

عفاف فى "مذكرات إمراة غير واقعية" أرادت الطلاق، وظنت أن المرأة التي تحصل عليه تكون محظوظة حقاً، ولذلك قامت بتهنئة صديقتها التي حصلت على الطلاق، قابلتها الصديقة بالامتعاض والغضب لتهنئتها بالطلاق، كيف تهن ئها على مصيبتها؟ كانت عفاف تنظر للطلاق على أنه إسترداد للحرية المسلوبة، خصوصاً لإمر أة تعاني من تبعات الزوج والزواج، وضحت لها صديقتها الأسباب التي تجعلها ترى فى الطلاق ورطة كبيرة قائلة: "خلصت من همه؟ أي خلاص يا مجنونة؟ يطلقني وأخلص؟ والأولاد من يربيهم؟ أنا أم هو؟ وأدور وراءه فى المحاكم أُطالبه بالنفقة وأرجوه أن يترك لى هذا الولد أوذاك سنة أُخرى أو أشهر أخرى؟ وإذ انسيناه هل ينساه الأولاد؟ وإذا أخذهم وحرق قلبي فلمن أعيش وأين؟ عند الاخوة وتحت أرجل نسوان الاخوة"[18].

بينما رأت "وداد" فى "أصل وفصل" أن من الممكن إصلاح زوجها بالضغط عليه من قبل والده للعودة إلى عيش الزوجية، على الرغم من أن الزوج لم يبد أية رغبة بالعودة إلى زوجته وطلقها، فإن وداد لم تكن تريد الطلاق حلاً لمشكلتها معه، هذان

[18] مذكرات امراة غيرواقعية، ص 65-66

مثالان لبعض حالات الطلاق التي ذكرتها الكاتبة، بينما تستمر أغلب العلاقات الزوجية فى روايات الكاتبة بسبب الضغوط التي يمارسها المجتمع على المرأة، وعدم قدرة المرأة على مجابهة المجتمع وحدها.

العنف ضد المرأة والموروث الإجتماعي:

العُنف ضد المرأة يمارس يومياً فى مجتمعات العالم المعاصر وقلما تكاد تخلو بلد منها، ويُعد الضرب الجسدي والإهانة النفسية حقاً من حقوق المس ؤول، فالمسؤوُل عن الأُسرة يحق له تأديب الفتاة أوالمرأة حين تخرج عن طوعه، ف يتعامل معها باعتبار أنها قاصر لارأي لها ولا موقف، وقد طرحت الكاتبة عدة نماذج لهذا النوع من الممارسات ووقفت موقفاً معارضا لها، من تلك النماذج المستضعفة: نموذج عفاف الذي يجسد العنف ضد الزوجة ، ويجسد نموذج سمر العنف ضد الأخت مهما بلغت من العلم، ويمثل نموذج نهلة العنف ضد الأُخت مهما أسدت للعائلة من أعمال وخدمات، فالقيم المتوارثة " التي يمتزج ف يها الديني بالاجتماعي وبالثقافى" تعطي سلطة لا محدودة للأب ومن يقوم بدوره فى المجتمع الفلسطيني.

واعتقد أن الأسباب التي تقف خلف العنف الجسدي ضد المرأة متنوعة، فقد تكون لإثبات السلطة، فهذه سمر فى رواية "باب الساحة" ضربت ضرباً مبرحا لبقائها خارج البيت أياما عديدة، ولم يشفع لها حصار جيش الاحتلال للمنطقة مما أخر عودتها ، وحين تقارن سمر بين المحتل وبين إخوتها ترى أنها تستطيع أن توقف بطش العدو بكل ما تملك، لكن بطش الأخ لا تملك أن تفعل له شيئاً، وإلا تعرضت لمزيد من المُهانة والاحتقار من المجتمع، وقد يكون السبب الغيرة أو التحدي سلطة الزوج فها

هي نزهة يضربها أخوها الكبير معاوية بحجة غيرته منها، بينما يضرب الزوج السكير زوجته عفاف بعد عودته ليلاً إلى البيت، تسرد عفاف حادثة ضربها:"جاءني مع الفجر ورائحة الحموضة تسبقه، وملاء الدنيا قيئاً وملاءتها غضباً ، لطمني فارتميت وبقيت هناك حتى الصبح" [19] جعلتها تصرفاته البغيضة تتجه نحو صيدلية أقرب وكذلك تتقدم إلى العطار لتجو من الجنين المتحرك في أحشائها ، فقدت الجنين الذي تحمله وقدرتهاعلى الإنجاب مرة أخرى.

يستهجن القاري فى رواية "صورة و أيقونة وعهد قديم" ضرب محمود لزوجته "سكينة" ضرباً مبرحاً لما بين الحُماة والكنة من عداء، إذ لا تعجب الحماة بسلوك الكنة التي لا تستجيب لأوامرها، تقوم سكينة بأعمال البيت وتعمل خارجه: رأت الكاتبة فى تلك النماذج وغيرها استغلال الرجل للموروث الديني، وعبرت فى أحيان كثيرة عن غضبها من تشريعات الدين، وأعلنت عن حنقها الشديد فى أعمالها الروائية المختلفة من خلال السبب أوشتم الذات الإلهية، والتطرق سريعاً إلى عدم قدرة الخالق على تدبير الكون بشكل أفضل ، تبدو هذه الألفاظ نابية وسوقية، بل تبدو مقحمةً فى النص إقحاماً ممايدل على أن الكاتبة ترى أن الدين أحد العوائق فى وجه التغيير الذي تنشده.

ومن الملاحظ أن الكاتبة تخلط بين أمرين مختلفين: بين النص الديني، وبين سوء فهمه وتطبيقه، والذي يبدو لنا أن المقصود فى نصوصها هو سوء الفهم والتطبيق، وليس النص الديني بحد ذاته، فالمجتمع الفلسطيني يزخر بمقولات جاهزة ، يستعملها للإعراب عن ضيقه بالمرأة ونقص عقلها، فتتبادر إلى الأفواه سريعاً تلك النصوص، وإحالة تمشيها مع الواقع كقوله تعالى: الرجال قوامون على النساء" وقوله تعالى:

[19] مذكرات امراة غيرواقعية ، ص 33

فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن" والحديث النبوي " إن المرأة خلقت من ضلع أعوج" بل نلمس أن هناك خطاء واضحاً بين النصوص الدينية والعادات والتقاليد، فنكثر من قول حرام وعيب، وقد لايميز الإنسان البسيط بينهما. يقول: المرأة كلها عورة، ويقول: أيضاً: المرأة إمر أة والرجل رجل "وليس معنى تشدد بعض رجال الدين وتزمتهم بل دعوتهم إلى "عزل المرأة وتحجيم دورها فى المجتمع ودفنها حية بحجة الحفاظ على الشرف والدين" [20] أن نسيى إلى الذات الإلهية والدين، ذاك أن المجتمع الفلسطيني شعب يحترم ديانته الإسلامية، ويقيم شعائرها دون تطرف، كما أن الدين لم يهضم حقوق المرأة، بل دعا إلى احترامها واعطائها حقوقها فى مجالات مختلفة لا داعي لذكرها ، فى اعتقادى أن تطرف النظرة عند الداعين إلى تطبيق الدين من جهة، وتطرفهاعند الداعين إلى حرية المرأة بلا شروط هي ما يسيئ إلى صورة المرأة.

الخيانة الزوجية :

سيطرها جس الخيانة الزوجية فى العديد من الروايات منها "لم نعد جواري لكم" ومذكرات إمراة غير واقعية" وباب الساحة" وأصل وفصل" قد يأتي فعل الخيانة من أحد الزوجين أوكليهما، لكن فى العرف والتقاليد إذ اشتكت المرأة من علاقات زوجها خارج البيت فلا يُلام هو، وإنما تخلق له المبررات والدوافع التي لاحصر لها، ولذلك تتذكر وداد وصية أمها لها ليلة زفافها" قالت كلاماً لم تفهمه. قالت إن على المرأة أن تكون

[20] محمد أيوب، الشخصية الروائية الفلسطينة المعاصرة فى الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993، ط2، مكتب النيل للطبع والنشر، المنيل، 1996، ص 92

قويةً حتى تتحمل مزاج الرجل وطلباته، وأن تكون ذكية حتى تعرف كيف تلجمه وتحتفظ به"[21]

وأن تكون ذكيةً حتى تعرف كيف تلجمه وتحتفظ به" [22] لم تفهم وداد أن الزوج حتى وإن ارتبط بعقد الزواج فله أن يسرح خارج البيت يبحث عن عشيقة له.

تقول ما مفادها أن الرجل عندما يخون زوجته ، الناس يلومون المرأة، يقولون إنها لا تعرف الاحتفاظ به، و إشباع مشاعره، وعندما يحصل العكس نفس الناس يقولون أنها لم تراع التقاليد ولا الشرف، ولم تصن حرمة زوجها والنعمة التي تتمتع بها.[23]

وها هي أم عفاف وعمها يهونان من أمر خيانة الزوج باعتبارها أمر عادي يقول عمها أن "الديك يكبس كل الدجاجات ويعود إلى بيته خفيفاً نظيفاً" [24] أما أمها فتعدد لها ما يفعل العديد من الأزواج من الفحش، وتحدثها عن زوجة فلان التي باغتته وهويعتدي على الخادمة، وزوجة فلان التي ضبطته وهو يلاوط صبياً فى فراشه. [25]

وذلك لتهون عليها أمر خيانة زوجها فخرجت من عند امها وهي تحس أن زوجها ملاك بالمقارنة مع الآخرين ، وهنا أيضاً نلمس أن الكاتبة تخلط بين الموروث الديني والموروث الاجتماعي، باعتبار أن هذا السلوك هو سلوك يقره الشرع والدين، رغم وقوف الدين موقفاً حازماً من تلك الممارسات.

---

[21] اصل وفصل، سحرخليفة ، ص 53
[22] اصل وفصل، سحرخليفة ، ص 53
[23] سحرخليفة، لم نعد جواري لكم، الطبعة الثانية، دارالآداب، بيروت –لبنان ، 1999، ص 134
[24] مذكرات امراة غيرواقعية ، ص 37
[25] المصدرالسابق ص 37

قضية الميراث فى الموروث الإجتماعي:

إن"سحرخليفة" تتناول قضية الميراث الذي كف بئه الشر يعة للمرأة، ولكنه يحجب عنها لأسباب اجتماعية مبررة، كالحفاظ على إسم العائلة من الضياع، ففى مذكرات إمراة غير واقعية" يستولى الإخوة على ميراث الوالد دون إذن أو مشورة من أخواتهن الوريثات، تقول عفاف: "كان لى اخوة أشاوس يعرفون من أين وكيف تفري مرارة المرأة، لكن للحق والحقيقة رجال محترمون، ولو أنهم حين مات الوالد تخاطفوا ميراثه قبل أن يبرد حمام دفنه ، ولم يبقوا لنا البنات من الميراث الا إسم العائلة ووجاهة الأصل الطيب "[26].

وما كان جواب أخواتها حين استحتهن على طلب ميراثهن بس ؤالها لهن "ونصيبنا؟ سوى أن قلن "نصيبنا" بماتحمله هذه الكلمة من معان مختلفة، وحين انطلقت عفاف وأخواتها واستشرن كبار العائلة، نصحوهن بغض النظر عن الموضوع كاملا ، وقالوا "عيب" وحين حاولت هى مرة أخرى إثارة الموضوع، تراجعت الأخوات عن مواقفهن وقلن: "أبناء والدنا أولى بميراثه من الأصهار الغرباء"[27].

ويناكف حسام أباه ويعارض آراءه فى رواية "باب الساحة"، فحين طلب منه والده أن يهاجر خارج البلد لئلا يعتقله جيش الاحتلال مرة أخرى، عارضا عليه بيع قطعة أرض وتحويل مالها إلى حسابه فى البنك، رفض حسام وطلب من والده إعادة ما استحوذ عليه: "حولها لأعمامي أصحاب الحق أوعوض اختك بدل حصتها المأكولة" [28] ويقصد بذلك نصيبها الضائع من الميراث، وحين سأل حسام عمته زكية لم لا تأخذ تعويضاعن نصيبها فى الميراث، استنكرت قوله وأجابته: أن من ال عيب أن

[26] المصدرنفسه ، ص 66
[27] ألمصدرنفسه، ص 68
[28] با ب الساحة، 48

بتفوه بمثل هذ ا الكلام! من العيب تقاصر الأخت أخاها" [29] تقصد أن من العيب مطالبة الأخت أخاها بحقها فى الميراث.

إذن فطلب الميراث ليس حقاً من حقوق المرأة الوارثة، رغم أنه حق كفله الشرع لها. تعد ظاهرة الحرمان من الميراث ظاهرة شائعة ت قوم بـمارس‌تها الكثرة الكاثرة من العائلات الـثري‌ة فى فلسطين إذ "يحرمون البنات من الإرث بموافقة الوالد قبل موته حتى لا يشاركهم غريب فى ملكيتهم لأرضهم، وقد وصل الأمر ببعض العائلات إلى حد منع تزويج البنات إلا بعد أن يتنازلن عن حق وقهن فى الميراث، وإلا فإ نهن يبقين عانسات"[30].

الموروث الاجتماعي والمرأة:

خلاصة القول إذن إن الموروث الثقافى والديني والاجتماعي يحد من حرية المرأة ولذلك نجد أن حدود العيب تحاصر المرأة ولا تنتهي قائمة الممنوعات فى شرع العائلة والأهل والجيران، إذ تلاحق المرأة عادات ذلك الموروث منذ الولادة حتى الوفاة، فالعرف والعادات والتقاليد مقدسات اجتماعية لامناص من أتباعها حتى لا تشذ أي شاة عن القطيع.

ويقال أن المرأة هى أحد المكرسين لهذا الموروث، وإن كانت هي التي تعاني أوعانت من هذ القمع ، فالمرأة فى كثير من الأحيان "قامعة لبنات جنسها، إذ إنها

[29] المصدرالسابق، ص 49

[30] محمد أيوب، الزمن والسردالقصصي فى الرواية الفلسطينية، الطبعة الولى، سندباد للنشروالتوزيع، 2001، ص 87

ساهمت من خلال "القيل والقال" فى اضطهاد النساء المثقفات أو المتحررات، وقد مثل هذ ا الجانب الأمهات، والزوجات، وربات البيوت عموماً" [31] فالمجتمع النسائي لا يرحم المرأة المطلقة والأرملة والعانس، وتمارس ف يه سلوكيات شائنة منها: متابعة أسرار الجيران، وذم زوجة الإبن "الكنة" وإلقاء اللوم على المرأة فى فعل الجنس المحرم، وإن كانت هى المفعول به " الضحية" كما هو الحال مع سعدية فى رواية "عباد الشمس"، التي لم تسلم من الخوض فى عرضها من نساء وظيفتهن الرئيسية أكل لحوم النساء غير المحميات من الرجال، فانتهكن عرض سعدية التي استشهد زوجها فى المواجهة مع العدو" [32] وقد أجبرت على العمل والخروج لمقابلة أصحاب المهن لتسويق إنتاجها. فلم تسلم من كيد النساء لها و انتقادهن لسلوكياتها، وكثر لغط أهل الحارة حولها" سعدية الدايرة طق الشرش حياها وما عادت تخجل حتى من أولادها. ياعيب الشوم ! وحين أعلنت أمام أطفالها أنها سترحل عن الحارة التي عارضت عملها وتقولت عليها بالفحش، لم تطل فرحتها بأرضها الجديدة طويلاً؛ لأن أبناءها أبدوا عدم الرغبة بالمغادرة لارتباطهم بالحارة، بكى ابنها قائلاً: "حارتنا يمه" وتابع قائلاً: مين لناغيرها "استبد بلَمه الغيظ فهوت عليه بالضرب.

[31] حسين المناصرة، تناقضات الذات والآخرفى روايات سحرخليفة. ، بحث منشور، جامعة الملك سعود، الرياض www. google. knol. net
[32] المرجع السابق نفسه

الفصل الثالث:

أعمال سحر خليفة الأدبية

يمكن لي القول بأن "العوامل التي أثرت على عقول سحرخليفة (الكاتبة النابلسية)–ولوسلباً– قد حولتها من ربة بيت إلى إمرأة مثقفة عربية، وذائعة الصيت على المستوى الدولى، عملت فى إثراء مكتبات اللغة العربية على إمتداد ثلاثة عقود أو أكثر ومازالت ، ولا يفوتها النهوض بمستوى الأُنثوي الفكري الحُر، تعد سحر خليفة واحدة من الل واتي شاهدن توقعن وحذرن ونبه ن أوصرخن، ولعلني لا أُبالغ إن أقول: إنها تكاد تكون الوحيدة التي لم تُهادن يوماً ما ولم تتراجع عن موقفها السامي والنبيل فى الدفاع عن حقوق المرأة، وكرامتها، رافضا كل التفسيرات والتطمينات و بقيت على موقفها النزاعة إلي النظر إلي الأشياء لا من ظواهرها بل من منظور نقدي بدءً من قضية الصراع العربي–الإسرائيلي ومروراً بسلوكيات المجتمع العربي ووصولاً إلى الحل الذي تطمحه المرأة العربية، وترغبُ فيها.

وأذكر فيما يلى بعض رواياتها:

لم نعُد جواري لكم، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت عام 1974م

الصبار، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت عام 1976م

عباد الشمس، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت عام 1980م

مذكرات إمراة غير واقعية، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت 1986م

بابُ الساحة، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت 1990م

الميراث، مطبوعة عن دارالآداب–بيروت 1997م

صورة وأيقونة وعهد قديم، مطبوعة عن دارالآداب عام 2002

ربيع حار، مطبوعة، دارالآداب–بيروت عام 2004

أصل وفصل، مطبوعة، دارالآداب–بيروت عام 2009

تعالج الكاتبةُ فى رواياتها، حب نابلس، النضال لأجل الحصول على فلسطين الحرة، وقضايا المجتمع الفلسطيني، وتشجع المرأة العربية على النيل بمرتبتها الأصيلة فى المجتمع المعاصر، وتصوغ النزعات الإنسانية ولاسيما نزعات أُنثوية وأحاسيسها فى صياغة جيدة وجديدة، وقالب متطور معاصر، وتضع خطاً حمراوياً على سلوكيات المجتمع العربي والفلسطيني الزائفة، تجاه المرأة العربية المعاصرة وذلك فى حلة فكرية جديدة، والمتأمل فى رواياتها يعرف بصورة جيدة أنها كيف تعبر عن هموم الشعب وآلامهم، و تعرض مواقفها الواضحة فى القضايا الحادة المختلفة وعالجتها فى رواياتها

بيسالة وشجاعة وبسردية قوية مثيرة تتحدى السرديات المهيمنة ، ونادت بتمرد المرأة وهذا ما سأبرزها مهما أمكن لى فى هذا الفصل في ضوء كتاباتها.

رواية "لم نعد جواري لكم"

صدرت رواية سحر خليفة (لم نعد جواري لكم) فى القاهرة، ولفت ت أنظار النقاد والمثقفين إليها، والأهم أن سحر خليفة كتبت هذه الرواية فى ظلال أشجار السر والصنوبر، وغابات الجوافة وبيارات البرتقال، وبساتين اللوز، والوهاد الخضر المزدانة بشقائق النعمان، ليتضوع منهاعطر مدن فلسطين القدس ورام الله وأريحا، ونابلس وشاطئ نهر الأُردن، والبحر الميت، والضفة الغربية، ولا أُبالغ إن أقول: أنه لولا هذه الأسماء المذكورة فى رواياتها، لماحسب القاري هذه الرواية رواية صادرة عن أدي بـة فلسطينية تعاني مثلما يعاني شعبها، وتت ألم مثلما يتألم، تناولت الكاتبة فـيها والتي هي روايتها الأولى أزمة المثقف العربي، وتطلعات الطبقة البرجوازية المتقوقعة حول ذاتها، فتناولت مشكلات تلك الطبقة وآمالها وهواجسها، التي بعيدة كل البعد عن آمال وهواجس المجتمع الفلسطيني، كما تناولت موضوعى الحب والخيانة، لم تخل الرواية من بعض المشاهد المكانية التي دلت صراحة على وقوع أحداث الرواية داخل المجتمع الفلسطيني.

وفى هذه الرواية أربع مغامرات عاطف يـة فاشلة، تصور مجتمع الرواية–إن جاز التعبير–الذي يقوم على الغيبة والقال والقيل، ولتبين تفاهة أفراد هذ المجتمع وكسلهم، والخوف على السمعة التي تبيح الفساد ما دامت مغامرات الشخصيات يلفها السرية ويحيطها التكتم و الخوف على السمعة وليس حباً بالتمسك بالقيم والأخلاق الحقة ثم

تصوير التمرد وكيفية النظر إلى المر أة الشرقية فهي مخلوقة لا تملك الحق فى التفكير والإرادة والاختيار، وهى مخلوق ضعيف ناقص العقل والتفكير –أوهكذا يراها بعضهم– ثم تعكس الروائية العلاقات الاجتماعية ال كاذبة الخادعة التي هي قائمة على الازدواجية وذلك فى أشكال ثلاث من الخيانة الزوجية والوهم والنفاق.[33]

رواية "الصبار"

صدرت عام 1980م، تناولت الكاتبة من خلالها مشكلات اجتماعية خطيرة منها الفقر واضطرار المرأة للعمل خارج البيت بالإضافة إلى أزمة المثقف العربي وتفكيره النمطي، كما تناولت قضية المطالبة بحقوق المرأة لتحقيق ذاتها ، والهدف منها هو تقديم صورة تفصيلية للواقع من وجهة نظر الكاتبة. ولا أُجاوز الحقيقة لو أقول: إن "سحر خليفة" تركز على واقع المرأة العربية الفلسطينية فى هذه الرواية أكثر من أي شي آخر وهي ترزح تحت الاحتلال الصهيوني فى الضفة الغربية فت عكس مقاسا تها، وآمالها وتطلعاتها والأوضاع المهينة التي تعيش فيها.

رواية "عبادالشمس"

تعتبر مشكلة المرأة تحت الاحتلال، وعلاقتها بالرجل، هى التيار العام الذي تتدفق الكتابة الروائية فى مجراه، وتتحدد كافة العلاقات فى ترابطها مع هذه المشكلة التي تنسج الكتابة حولها شبكة علاقتها الروائية ، عبادالشمس هى الجزء الثاني ل . "الصبار" وفيها يجري استكمال نقاش الواقع وطرحه فى العلاقات الروائية المتواشجة،

[33] مجلة جامعة دمشق –المجلد 30-العدد 1+2-2014م، مقال بعنوان :الرواية النسوية فى ظل الإحتلال-سحرخليفة نموذجاً" الدكتوراسامه شهاب مركزاللغات –الجامعة الاردنية-عمان-الاردن

ومناقشة مشكلة المرأة فى الأرض المحتلة وتحديد مكانها فى جملة العلاقات المتنامية فى المسار الروائي ، والمضمون الاجتماعي هو" مشكلة أساسية تقوم عليها الرواية: مثال المرأة فى مرحلة تحرر وطني وفى مجتمع شرقي تعاني المرأة قمعا وسلطة مزدوجين، قمع الاحتلال وسلطته، وقمع الرجل وسلطنته ، تتنوع فـيها الشخصيات النسوية، وكلها يحاول نقد الواقع الاجتماعي للكشف عن عمق م أساة اضطهاد المراة (وهي تمثل نموذج المرأة السهلة التي تتحول ببساطة ، وبامكاني أن ألخص قائلا: أن الكاتبة قدمت مثالين مختلفـين، بيئيا وثقافياً واجتماعياً للنساء العاملات ، يشكل المثال الأول فى صورة "رفـيف" الفتاة الم هذبة التي تعمل كمصح افية فى إحدى مجلات الضفة وتمارس حريتها الشخصية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ولا يرضى فيها ب تدخل أي شخص ولاريب أن عملها هذا كان دافعا مهما فى تشكيل شخصيتها وصقل مدارك فكرها وثقتها وا عتدادها بنفسها ولذ ا وجدناها تناقش زملاءها فى المجلة متعاملة معهم تعامل الخصم والند.

يتجسد المثال الثاني في شخصية ا لمرأة "سعدية" الشعبية البسيطة زوجة العامل زهدي وأم أولاده الخمسة ، لا تحسن عملاً ولا تحمل شهادةً وعمل الزوج اليومي الذي تعتمد هي وأُسرتها عل يه وحين يستشهد ينقطع مورد الرزق بدفع ة واحد ة، وتجد الزوجة نفسها أمام مشكلة كبيرة متمثلة في تأمين متطلبات العيش لها ولأطفالها ولأنها كانت قوية الإرادة وصاحبة العزيمة فقد استطاعت رغم أوضاعها الصعبة تحويل تلك الإرادة إلى القوة الفاعلة وهكذا أخرجت أولادها ونفسها من كارثة معيشية كبيرة، وأمكن كل هذا بالثقة والاعتداد بالنفس الذي تمتعت به.

سحر، إذا، تولي اعتناء كثيرا بقيمة عمل المر أة وأهميته وضرورته لا فقط لسد الحاجات المادية بل لما يحمل من أهمية على ال مستوى الشخصي والاجتماعي والإنساني بوجه عام إذ يحررها ويمدها بالطاقة اللازمة ل تواجه أنواع التحديات المختلفة.

رواية "مذكرات إمراة غير واقعية"

صدرت رواية "مذكرات إمراة غير واقعية" عام 1986م، تبدو الرواية فى ثلثيهاالأول والثاني كأنها رواية سيرة ذاتية للكاتبة لما احتوته من أجزاء، ومشاهد تتشابه إلى حد كبير مع سيرة حياة الكاتبة الشخصية، وهو مارفضت الكاتبة الاعتراف به فيها بعد، ففى موضع تقول سحر:"لم أكن إمرأة واقعية أبداً. فم نذ فتحت عينى على الدنيا وأنا أحس أن ثمة خطأ ضخما وكبيراً أكبر من استيعابي وطاقتي على الاحتمال . . ولهذا أصبحت أكثر من غيري ، لأني غالباً ماكنت أطلق هذه القذائف و أنا أمام المرأة [34]،عالجت الكاتبة فى الرواية مشكلات اجتمائية متنوعة كالتسلط الأبوي والمجتمعي ضد كينونة المرأة، وأهمية شرف المرأة فى الموروث الاجتماعي، وغيرها من القضايا.

تتناول "سحرخليفة" فى هذه الرواية عمل المرأة من ناحية مختلفة عن تلك التي عرضتها فى الثنائية حيث إن البطلة متزوجة شقية وهي لا تحمل شهادة عالية ولا

[34] مذكرات إمراة غيرواقعية، ص34 وقد أشارت الكاتبة إلى عزلتها كذلك فى صفحة 65

تحسن أي عمل ومن هنا تتمهل فى طلب الحصول على حريتها وهي تخاف العواقب الوخيمة التي هي في انتظارها فـي حال انفصالها عن زوجها ، إن عطالتها عن العمل وقلة حيلتها جعلتها تطمئن بواقعها ولا تقوم بأي شيء لتحسينها ومن هنا تعيش تحت رحمة ووصاية زوجها بالرغم من مقتها له كما جعلتها تخفى الاستقلالية و الاضطلاع بالمسؤولية فكيف تستطيع أن تبدأ من جديد، وهي لاتدري من أين وكيف تبدأ[35].

رواية "باب الساحة"

فى عام 1990م صدرت للكاتبة رواي تها الخامسة بعنوان "باب الساحة " نقلت الكاتبة فـيها صورة من صور الانتفاضة و تطرقت لأهم المشاكل الكامنة في ظاهرة العمالة خاصة تلك الظاهرة التي ظهرت بجلاء بعد عام 1987م كما تناولت أسباب الانحراف و ازدواجية المعايير التي يتميز فيها الرجل عن المرأة كما عالجت ظاهرة العنف ضد المرأة داخل الأسرة بالإضافة إلى بحثها مجموعة من القيم الاجتماعية كالصمود والشرف وكتم الأسرا ر، تـوزع سحر خليفة الشخصيات النسوية ف يها إلى ثلاث هويات رئيسية ت قاسي القمع الذكوري ، تمثل **الأولى** منها أهم شخصية نسوية فى الرواية وهي المرأة المنفتحة على الجنس غير الشرعي والثانية تتجسد في هوية الحريم وفى هذ ا الباب تظهر شخصية الست زكية قابلة الحارة سيدة نفسها منذ أن تركها زوجها قبل عشرين عاماً مع ست بنات ، والثالثة تمثلها هوية المرأة المثقفة المتعلمة

[35] مذكرات إمراة غير واقعية، ص 75

سمر وهي لا تقدر على إنتاج الواقع الأفضل وتتعرض لعقاب أشد مما تلاقيه المرأة الحرمة فهي تجد نفسها بسبب ثقافتها عرضة للسخرية والاضطهاد والظلم.[36]

رواية "الميراث"

بعد إتفاقية أُوسلو وماخلفها من تدهور فى مجالات عديدة صدرت للكاتبة رواية "الميراث، عام 1997م، تناولت الرواية قضية الغربة غربة الأفراد خارج وداخل الوطن، كما تحدثت عن الهزائم والعجز الذي مني به كثيرون من أفراد المجتمع ، بسبب ابتعادهم عن القيم الحميدة، فكل يبحث عن مصالحه الفردية ولا يهتم بمصلحة المجموع، ممايؤدي إلى خلل فى تركيبة المجتمع وفى العلاقات الإنسانية.

إستطاعت سحرخليفة أن تحمل العنوان إيحاءات اجتماعية وسياسية وعائلية وحضارية و منذ أن الكاتبة تركز دائماًعلى هم المرأة فإنها فى هذه الرواية قدمت مجموعة من النساء اللواتي ي قاسين أضعاف ما يقاسيه الرجال فى أية أسرة من الأسر بالإضافة إلى تحول فلسطين بعد "أوسلو" 1993م إلى كعكة يسعى الجميع إلى نهبها وتحكم عصابات المنحرفن بأرواح البشر وأقدار الناس فكانت اتفاقية أوسلو خدعة كبرى وهي تتمثل جليا في قولها "بتنا بلا حل ولا ثورة، صرنا كالغنم بلا راع، من غير هدف"[37].

تعرض الرواية أربع شخصيات نسوية شغلت ال قسط الأوفر من بنية السرد وهي زنية حمدان الفتاة الفلسطينية التي هاجر والدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث

[36] المراة فى روايات سحرخليفة، رسالة ماجيستر مقدمة من الطالبة :غديررضوان طوطح جامعة بيرزيت ص، 95 عام 2006
[37] فنصل دراج وآخرون:افق التحولات فى الرواية العربية (شهادة حرخليفة)ص 177

كانت تم تلك ميراثا كبيراً وعندما عادت إلى الضفة وجدت أن الميراث لا يحق لها أن تأخذ منه إلا القليل وذلك لأنها فتاة والفتاة لا تحجب الميراث عن الأعمام والأجداد فمع أنها قدمت لترث إلا أنها وزوجة أبيها لن ترثا إلا القليل من الميراث مما شجع إمرأة أبيها على الحمل بالتلقيح لتلد صبياً يحجب الميراث عن بقية أعضاء العائلة.

ويشكل الميراث أيضاً ذلك الموقف الاجتماعي الذي دفع بنهلة إلي العمل فى الكويت و التضحية بشبابها كي يتزوج أخ لها ويكمل دراسته وواقع نهلة هو "واقع أخت إمرأة فى الخمسين بلا م لجأ وبلا جدوى وبلا اشباع فعادت تلملم دنياها وما بقي لها من واقعها وتحاول عبثاً أن ت عيش فعاشت طوال حياتها معطاءة للجميع من الوالدين والإخوة والأهل ، فالتضحية من أجل الن اس شي عظيم والأنانية شي قذر وحب الوطن أعلي وأعظم ما فى الوجود وحب الخير من حب الله وحب الله من حب الأهل ، أعطت للأهل بدون تردد وبدون انتظار وتوقع لأن تسترد أي مردود" [38] ولكنها بعد أن أصبحت عاجزة عن دفع الأموال الهائلة لهذا وذاك وبدأت تشعر بالوحدة وال هوان كما أنها تشعر انها لاجئة رغم امتلاكها للرصيد و الأرض ورغم سخائه وغرفه للأكل ليملأ بأنواع الزفر أحست بالذل" [39] وهكذا ف إن مقاساتها تمثل م أساة الأخت العربية التي تضحي وتعمل وتربي الإخوة والأخوات ، وفى النهاية يتركها الجميع بعد أن تكون قد أمضت العمر فى خدمتهم ، وهذا الموقف من "الأخت" هو ميراث اجتماعي يؤكد على واجبات الأخت تجاه العائلة ولكن لا يشير إلى واجبات الجميع نحوها أو إلى حقوقها فى الأ سرة والمجتمع ، الأخوات فى الكويت يعملن من أجل تأمين الحياة الكريمة لغيرهن من أفراد العائلة "تمتلئ المرأة بصورة الغير، وتظل عايدة بلاصورة، وتظل

[38] المرجع، نفسه، ص 34
[39] فصل دراج:دلالات العلاقة الروائية. دمشق:داركنعان للدراسات والنشر،

مريم بلاصورة، وتظل نهلة بلاصورة، ماذا نالت؟ نالت الفرحة بالأخ العريس، بالأخ المهندس، بالأخ العريس، بالأخ العالم، بالأخ البطل، وهي نهلة، مجرد معلمة فى الكويت بلا أولاد وطبعاً وبلا زوج أو بيت، ولهذا طبعاً من الأولى أن نهلة هي من يصرف على تعليم الثاني ثم الثالث ثم الأخير، ماذا نالت؟" [40] حينما توصلت نهلة إلى قرار الزواج من أجل الخروج من دائرة ال هوان وتزوجت من سمسار فج أة أصبحت قضية عائلية يتحدث ف يها الكبير والصغير ما عدا نهلة صاحبة المشكلة أصلاً، فقد أصبح زواج نهلة من أبي سالم قضية شرف وقتل وصراع وتساءلوا لماذا تريد التزوج الآن وهي فى الخمسين ولا تنجب أطفالاً فقط من أجل الجنس وهل يحق لها ذلك؟.

الحاصل تجعل هذه الرواية من معاناة " الأخت" مركز ا هتمامها فالمرأة تواجه دائماً شتى أشكال الاضطهاد ويعتبر الاضطهاد أقسى أنواع القمع للمرأة والميراث أيضاً هو نفسه الواقع العربي الذي يُقنع نفسه بالكلام والأحلام بأن الأُمور بخير، ولكنه لا يناضل من أجل تغيير الواقع أو استعادة الحقوق.

رواية "صورة وأيقونة وعهد قديم"

صدرت الرواية عام 2002 وتتناول قضية تهويد القدس العربية وضياعها من أيد ي المسلمين، فى صورة رمزية، تناولت الكاتبة فى الرواية قضايا اجتماعية عديدة منها العمل فى الغربة، وقضايا الشرف، وسلبيات عدم تحمل المس ؤولية، والعنف الجسدي ضد المرأة كما تناولت بعض الأمراض الاجتماعية كالغيبة والشعوذة.

[40] سحرخليفة: باب الساحة. ط1، بيروت:دارالآداب، 1990، ص 26.

إن سياق الهذيان في هذه الرواية المتجسدة فى أنشودة الضياع التي يختم بها ابراهيم روايته غارقاً فى الأسى إذ يقول: "السماء بدأت تصحو فى عز الخريف وأوراق الشجر وأوراق النرجس والنعنع بدأت تخضر".[41]

حاصل الكلام أن هذه الرواية تتحدث بشكل كبير عن القدس (المدينة المقدس ة) التي لا يتنازل عنها المسلمون مهما واجهوا من مخاطر وحروب فهي تبدأ بعشق مستحيل بين رجل وإمراة ينتميان إلى دينين مختلفين ومع أن العشق حق بشري.

ويُعتبر مشروع سحر خليفة هذا مختلفاً عن مشروعاتها السابقة التي سجلتها فى الصبار وعباد الشمس وبابُ الساحة والميراث التي تناولت ف يها أحوال الفلسطيني المقاتل وماتبعه من انتفاضة متجددة و"إتفاق سلام" بائس ، فهذه الرواية الجديدة تقف أمام موضوع جديد هو القدس بالإضافة إلى الموضوع القديم الذي تركز عليه دائماً فى رواياتها وهو وضع "المرأة التقليدية" حيث إن الفلسطيني يكتفى بتحرير الوطن "دون أن يلتفت إلى العلاقة بين "تحريرالأرض" وتحريرالإنسان ويعتبر كلمة الإنسان مقتصرة على الرجل دون المرأة بل عليه أن يوزع كلمة الإنسان على الرجل والمر أة معاً دون تمييز بينهما.

رواية "ربيع حار"

صدرت هذه الرواية عام 2004م تناولت فيها الكاتبة فترة حصار الرئيس أبوعمار، وقد استطاعت الكاتبة أن تبرز مساوى التعنت الصهيوني رغم سلمية

[41] نفسه، ص 263

الأفراد، كما تناولت الكاتبة الصراع الطبقى فى المجتمع، فالهم السياسي جمع كافة الأطياف الاجتماعية، التي يفرقها دائماً التعصب الحزبي، فالنظرة الدونية للآخر تلعب دورها المقيت فى إهدار الكثير من الجهد والوقت والكفاءات ، تناولت الكاتبة مجموعة من القيم الاجتماعية كالصبر وتحمل المس ؤولية والتعاون والتضحية، وفى جزئها الثاني تعرضت لبعض الأمراض الاجتماعية كالنفاق والوصولية.

أما آخر ثلاث روايات صدرت للكاتبة كانت عبارةً عن ثلاثية تتكون من "أصل وفصل" عام 2009م و "حبي الأول" عام 2010م و"أرض وسماء " عام 2013 وتعرض الكاتبة ف يها إلى ثلاث حقبة زمنية مختلفة بطريقة سردية موحية، فالفترة الأُولى تتحدث عن فترة ضياع فلسطين، وأحداث ماقبل النكبة الفلسطينية، ثم أحداث ثورة الشيخ عزالدين القسام، وقد لعبت أيدلوجية الكاتبة دوراً كبيراً فى توجيه الكتابة الروائية فقد رصدت الروائية أخطاء الشيخ فى ثورته ببعض الأحداث المشبوهة، التي لا مقام لمناقشة أبعادها ومراميها فى هذالبحث، والتي تحتاج إلى بحث فى اتجاه آخر.

تصور الرواية المجتمع الطبقي فى نابلس وملامحه والتحولات التي ظهرت في ه، تقدم الكاتبة لطبقتين اجتماعيتين وهما: طبقة العائلة البرجوازية وتمثلهاعائلة قحطان التي تعيش حياة تقليدية فى هيئتها وتصرفاتها ومبادئها، وبين العائلة العائدة من السعودية، كما تقدم نموذجاً لعائلة إسرائيلية، تمثل هذه العائلة نظيراً مقابلاً لنموذج العائلتين العربيتين، أما القيم التي تناولتها الروائية فى هذه الرواية فتتمثل فى الترابط الأسري والتكافل، وتناولت الرواية موضوعات اجتماعية متنوعة منها:الزواج المبكر،

وأعباء الزواج وتبعاته، ومشكلة الطلاق و أسبابها، وقضية تعليم المر أة كضرورة فرضتها ظروف المجتمع.

أما الحقبة الثانية التي صورتها الروائية فى روايتها "حبي الاول" فتحدثت عن فترة النكبة، فترة ضياع فلسطين، فى ظل تخاذل القيادات العربية، استعرضت الكتابة قوى المقاومة بزعامة القائد شهيد القسطل عبد القادرالحسيني ، يبد أ السرد الروائي بالحديث عن حب قديم يجمع بين الشخصيتين المحوريتين اللتين تجمعان خيوط الماضي، وفـي المضمون الاجتماعي تناولت الكاتبة قضايا عديدة منها: قضية العمل، والتثقيف، والتضامن، والصراع الطبقي.

وتسرد الرواية ورفيقها فى الجزء الأخير من الثلاثية " أرض وسماء" العديد من الذكريات معتمدة على الوثائق والرسائل والمذكرات، كما تتناول سيرة حياة "انطون سعادة" وهو شخصية لبنانية دفع حياته ثمناً للدفا ع عن مبادئه وأفكاره، وجدت الكاتبة فيه نموذجاً مناضلاً قل نظيره، وترى أن هذه الشخصية اكتسبت أهميتها من قدرتها على إيجاد أفكار وطنية حديثة ينصهر فيها الجميع فى بوتقة المجتمع، فى وحدة تجمع كل القوى على الرغم من اختلاف وجهتها الدينية والسياسية والثقافية.

الحاصل تعرض الكاتبة فى روايتها مجموعة من القضايا، تنتقد من خلالها الفهم الخاطى ئ للعقائد والأديان، وسلبيات الانفتاح على المجتمعات الأخرى دون قيود، فمن خلال سعد تقدم الكاتبة نموذجاً لجيل واع تجاوز أخطاء الأجيال السابقة، كما أشارت الرواية إلى عمق الفجوة بين الأجيال، تتناول الرواية مجموعة من القيم الاجتماعية الإيجابية كالتسامح والتضامن.

هذه هي مضامين روايات الكاتبة والمتأمل فى كتاباتها يتعرف أنها تطرح من خلالها أسئلة متعددة حول التحديات التي يواجه المجتمع الفلسطيني، أسئلة ملحة تجعل القار ئ يتسائل عن تأثر الكاتبة بالواقع الاجتماعي، ومدى تأثير الخبرات التي مرت بها الكاتبة فى حياتها الشخصية والعملية على إنتاجها الأدبي ، تصر الكاتبة على الكثير من آرائها الناقدة للمجتمع، وتعا ود طرحها من رواية لأخ رى بلا كلل أو ملل. فهل تجنت الكاتبة على المُجتمع فى طرحها النقدي المستمر؟ وهل تستطيع أن توضح العلاقة بين النص الروائي للكاتبة، والواقع الاجتماعي الذي مرت به؟ وهل تضافر المضمون مع الشكل فى روايات الكاتبة أم غلب أحدُهما على الآخر.

الباب الثاني

صورة المرأة في الرواية المعاصرة

الفصل الأول: صورة المرأة في الرواية العربية

الفصل الثاني: صورة المرأة في الرواية الفلسطينية

الفصل الأول: صورة المرأة في الرواية العربية

تحتل المرأة مكانة كبيرة في المجتمع ولها إسهامات في جميع المجالات وفي مسير التقدم والرقى ولذالك أعار الشعراء الاهتمام بهن في أشعارهم وكتاب الروايات في رواياتهم ونهض عدد كبير من الروائيين وعبروا عن المرأة وقاموا بإبراز صورتهن في إبداعاتهم الروائية لأن المرأة عجلة المجتمع الذي يدور حولها رمز للتقدم الوطني.

اهتم الروائي بإظهار المرأة كإنسان يساهم في بناء الوطن والمجتمع بالتساوي مع الرجل وفي هذا الفصل أقدم بعض الروايات التي تتناول المرأة وتذكر مدي نشاطاتها وفاعليتها في المجتمع والمرأة عمود فقري لأي مجتمع ولا تقل أهمية من نظيرها الرجل في المجتمع من أهمل المرأة تخلف عن مسير التقدم ومسار الازدهار ويصبح حلم الرقي حلما لا تعبير عنه.

الحرية الذاتية للمرأة:

اهتم كتاب الرواية بحرية المرأة واستقلالها الوجداني فهي فرد وبطل ينجز باستقلاله وحريته الفرح والسعادة لنفسه وللآخرين وكذالك يحقق بها رقي المجتمع وسعادته والذي يؤدي في النهاية إلي استقلال الوطن وازدهاره وتوجيهه إلي مسار الرخاء والسعادة العامة[42].

[42] د طه وادي صورة المرأة في الرواية المعاصرة ص62

والرواية الأولى التي تمثل هذه النزعة هي رواية محمد حسين هيكل "زينب" التي تمت كتابته عام 1912م وعني مؤلف الرواية عناية بدقة متناهية صورة المرأة وتناول أزمتها في المجتمع واستنزف جهده العظيم واستنفد كده في معالجة مشاكل المرأة في المجتمع, تمثل زينب شخصية متنامية ذات طبيعة ساحرة وذات حسن وجمال بحيث تصبح محبوبة كل من يراها تقع زينب في محبة مزارع اسمه إبراهيم ولكن القضاء لا يرضى بحبها له وتقدر بأنها تزوج بشخص آخر وتصبح حالتها كحالة شاة قطع بها الطريق وتقيم مع زوجها الذي لم تختره هي بنفسها وإنما اختاره لها أبوها فالصورة المذكورة التقليدية لهذالزواج تشير بأن المرأة لا تزال تتلقي معاملة الجارية فهي ليست قادرة لتصرف في أمورها الذاتية والأب هوكل شئي في منزلها وهو يعامل مع البنت كالجارية فبدون إذن منها وبدون رضاها يفعل الأب في شأن البنت ما يملي عليه نفسه[43].

بعد أن تم الزواج يتجاذب في زينب عاملان لكل منهما أهمية في حياتها، العامل الأول وفاءها للحبيب الذي لم يقدر لها الزواج به والعامل الثاني هو الإخلاص تجاه الزوج وتبرز شخصية زينب بظهور الأحداث في الرواية ونلاحظ فيها مع مع كل موقف بعدا من أبعاد شخصيتها.

وتتكثف الأحزان مع زينب وتنمو معها مشاكل صراع الوفاء والحب وتقع فريسة السل وتموت وتوصي أمها بأن لا تكره أخواتها الأخريات علي الزواج من أي شخص لا تحبه ولا تقتنع به.

[43] محمد حسين هيكل زينب ص 105

ففي الرواية زينب أصبحت رمزا للقضية الاجتماعية ومع هذا أتى الروائي بعديد من عناصر النجاح الفني في الرواية فزينب هي فلاحة تعمل في وقت واحد في الحقول والبيت ولا يتوقف نشاطها في النهار ولا ينعدم تفكرها في الليل فهي عضو متحرك حي دائما سواء نائمة أو متيقظة أوحالمة تعيش علي هذا الحال حياتها كلها حتى تلفظ نفسها الأخير ومما يلاحظ هنا أن زينب تظهر وتبرز أزمة الحب والعشق معبرة عن أزمة الحرية الذاتية وهى رمزللعنف والاضطهاد والظلم في الرواية.

صورة المرأة المتمردة في الرواية التحليلية:

تلقى الوضع الاجتماعي السنوي تحسنا ملحوظا حينما دخل في مقررات المدارس والجامعات ونشطت بحيث تقتضي نظاما جديدا لعلاقة الرجل بها. يقوم هذا النظام الجديد للعلاقة علي التفاهم والتودد والمساواة ومع هذا وذاك لم يدخل في المجتمع تغيرمرغوب فيه رغم أن الشخصيات المعبرة عن هذه المشاكل كلهن زوجات وبالتالي نعتبر الثورة آتية من قبل المرأة كجنس لا إلي الرجل كزوج حيث أنه استلب حرية المرأة لا يتعامل هذا الزوج معها كإنسان وبشر يحمل إرادة ومشيئة علي أساس تبادل الاحترام والعواطف وحاولت توضيح هذه الصورة وتبلورها في روايته"ابراهيم الثاني" للمازني 1943م.

عبرت تحية بطلة ابراهيم الثاني عن هذه القضية ولا غرو أن الكاتب أراد أن يهدي هذه الرواية إلي كل تحية ومرأة ينفد صبرها ببعلها أحيانا، ورغم أن تحية تزوجت باختيارها ومع حبها وأخذت من التعليم قسطا كافيا وكانت علي نصيب كبير

من الجمال والكمال والفطانة ولكن الزوج أدرك أنها تفقد ما جذبه إليها عندما رأها مخطوبة لغيره.

تبدو تحية عضوا حيا طوال الرواية وإنها عنصر متحرك ولكن عاطفتها تفتر وتخمد نحو زوجها بصورة متدرجة ومع مرور الزمان ومضي الأوقات.

تزوجت تحية لأول مرة من شخص يحلم بمرأة تحمل صفات أمه ولذالك زاد الفراغ بموت الأم بجانب فقدان الولد وتعدد وساوس الزوج والأم كانت تعرف جيدا وخيمة فراغ في حياته فأوصت تحية لتكون صديقه قبل أن تكون زوجة ومن ثم ينتهي فقر تحية العاطفي منتهاه حينما لا تتحقق نصيحة الأم، ومن هذه الواقعة نلاحظ أسباب سلبية المرأة في الرواية لأن المجتمع والصور النمطية لم تدع المرأة تتحرر تحررا كاملا ولم تعط لها درجة مساوية تقوم بها في صفوف الرجل صورة المرأة هذه تحدث الأزمة في الرجل لا في المرأة.

وعلي هذا يمكننا أن تقول أن شخصية تحية أقرب ما يكون إلي السذاجة والتسطح وتمردها أكثر قربا إلي الشعور المبهم بالضجر والملل والقوة بدون أي سعي للتعبير وبدون أي مقاومة للزوج الناشز الذي عاشت معه جميع عمرها ولم تخالف أبدا رأيه فتتمخض عن هذه الأحوال أن المجتمع يهيمنه الرجال والوعي متجذر ومتأصل في الشخصية النامية والشخصية الإيجابية للرجل حينما يكون زوجا.

هذه رواية تحليلية تحمل الأسلوب التحليلي وخاصة النفسي في المعالجة النفسية لأحداث الرواية يجمع فيها الكاتب صور وخواطر الهوئ وصور الحياة العائلية

والنقاش والاستذكار الغير المرئي للحياة الأرستقراطية وتلوينا عن متعدد مظاهر الحياة وأحداث الواقع، الرواية تدفعنا إلي أن نقضي حياتنا في دنيا العواصف والإعصار[44].

وتوجد في الرواية وحدة الموضوع كما يوجد فيه كذلك وحدة المنهج لأن كل كاتب يحمل صفة خاصة تظهر نظريته للحياة وأسلوبه الفني في معالجة الأحداث وبالإضافة إلي ذالك يعتبر تطور الصورة في أمثال هذه الروايات تطورا طبيعيا للبسالة في بحث الصورة التي تنعكس عن حادث في الحقيقة.

والخلاصة أننا رأينا جليا تمرد المرأة في رواية "ابراهيم الثاني" ثم اتضحت الصورة جلية حتي وصل هذا التمرد إلي تمرد الفعل والقول وغير ذلك.

صورة المرأة المتمردة على التمييز الطبقي:

جرت العادة بأن الكتاب والروائيين استعملوا جنس المرأة كأداة وآلة فنية لإظهار الوقائع والأزمات التي يواجهها البشر كنتيجة عدم التساوي في تقسيم الأموال والثروات الاقتصادية.

والمحاولة الأولي لبيان هذه الصورة جاءت في شخصية "ثريا" وهي بطلة رواية عيسى عبيد، ثريا تمتنع عن الزواج بحبيبها "وديع نعوم" وتخرج بدون اكتراث لتكون علاقة زوجية مع رجل ثرى مسلم تركي وتبذل كل غال ونفيس في هذا السبيل والوصول إلي رجل غني ولا تبالي في هذا الهدف بجرح العاطفية في حبيبها وكل ذالك في محاولة لإنجاز حلمها في الزواج برجل ثري.

[44] البيريس ترجمة جورج سالم تاريخ الرواية الحديثة ص 91

ولا مراء في أن ضياع البطل واغتراب البطلة هما اللذان تسببا للمؤلف في أن لا يجد للرواية نهاية مقتنعة وذالك بجراء سيادة الأوضاع الطبقية الموجودة هناك، وصورة المرأة الراقصة في هذه الرواية لا تظهر جليا فيها لأن المؤلف والكاتب ركزعلى الانشغال بمشاكل البطل ولا بالبطلة، والفقر أحاط بالبطلة من كل جانب حتي فقدت القدرة والكفاءة علي التواصل السوي وجميع المقدسات والعلاقات التي تكون الإنسان والبشر حيا متحركا.

أما الأزمة الطبقية في المجتمع والتفاوت بين مختلف الطبقات وكل من التمرد والصراع الطبقي يزداد فنيا في الرواية وتعكس شدة البذ رة الاقنصادية وتدور حول أسباب السيادة الاجتماعية في أيدي الطبقة الارستقراطية في المجتمع.

ونفس القضية توجد في رواية " حواء بلا آدم" للكاتب طاهر محمد لا شين،فالرواية تعبر عن الأزمة الموجودة في المجتمع وخاصة أزمة البرجوازية التافهة التي كانت غالبة علي البيئة المحاطة بالبأس والبؤس و تتمني الحب والسعادة والرخاء وعيشا رغيدا في كنف هذه الأحوال.

وتفصيل هذه الرواية أن "حوا" فتاة لا علاقة لها مع الأسرة باستثناء جدتها العجوزة وبفضل فطانتها تصبح حواء مدرسة وتعين للبعث إلي الخارج ولكن يحول في طريقها الفقر واللجنة تفضل مكانها زميلتها الغبية ولكن كانت غنية.

ولما حصلت هذا التميز تأيست حواء وحدثت الواقعة إلي صديقتها مباشرة وقالت لها إن اللجنة فضلوها لأنها كانت تنتمي إلي طبقة أغنى وأثرى من طبقتها، وكانت لطبقة زميلها الحول والطول والقدرة والقوى وكانت لها أمر ونفوذ ،أما طبقة البطلة حواء كانت من طبقات فقراء ومساكين وحواء تعبر عن إشمئزازها عن طريق

مؤلم جدا تقول نحن الفقراء يجب أن نحتفظ بمستوانا ولا نعدو حدودها ولا نرفع رؤسنا وهذا خير لنا للبقاء في هذا المجتمع المتحضر.

فالأزمة في الرواية وخصوصا أزمة البطلة حواء ليست أزمة فرد في أي حال من الأحوال وإنما هي أزمة طبقة بحذافيرها وقد عبر الكاتب عن أن لا فائدة من الثورة علي هذه الطبقة التي تخفض من يحاول الرفع وتخنق من يحاول التنفس في الهواء الطلق ويقول الكاتب " قد نذبح وتسلخ جلودنا في مجزرة هذا العصر المتقلب غير الثابت علي م بدأ أوفكرة ولكن لن نكون معصبي الأعين كالبهائم ، بل نسمع ونرى و في هذا تسلية لنا"[45].

ففي الرواية أحست البطلة بالظلم والاضطهاد الذي تعرض له في حياتها من قبل الطبقة العلياء وهذا الإحساس هو البسالة والجرأة السلبية في رأيها ونظرها وكانت تعرف بأن الإحساس بالظلم وإدراك معني الاضطهاد هو ليس إلا بداية الثورة عليه ، وهذا ما يراه الكاتب نفسه في مقدمة الرواية أن التقوة والقوة والجفاء الاجتماعي لم بعد في البلد إلي حد يبعث اليأس ويحدث التمرد أو يمكن أن يصل ولكن بركان الثورة ينتظرها وقتا مناسبا ليشتعل.

حال الفقردون طريقها في استمرار تعليمها ولم تدع لها أن تحقق المشاعر والسعادة العاطفية,أحبت حواء فتى اسمه رمزي وأعطت قلبها ولكن حبيبها تزوج مع بنت طبقته وبذلك تلاشى حلم حواء بإزالة الفوارق الطبقية في المجتمع ومحاولتها في ربط الطبقية الأولي مع الطبقة العلياء، وانعدمت لها أسباب تواصل الحياة ولم تجد

[45] محمود طاهر لاشين حواء بلا آدم ص 45

لديه إلا أن تصتهر كال ش معة وفي نهاية المطاف تق وم حواء علي الانتحار وتترك نفسها رمزا للنهاية المأسوية للفتاة.

صورة المرأة الرمزية في الرواية العربية:

الرمز مادة وسمة لإثراء الإنتاج الأدبي وعلي وجود قدر الرمز يوجد النجاح في الرواية.والرمز كثيرا استعمل في الرواية لإظهار فكرة تكون أبعد مما يوحي به الحكاية في أي رواية فنجد في "عودة الروح" لتوفيق الحكيم أن الرمز استعمل من طرق متعددة وكذلك في روايته " يوميات نائب في الأرياف" وكما نجد نفس الحال في رواية يحى حقي "قنديل أم هاشم" الحكاية في جميع هذه الرواية تتسم برمز أعمق،والشخصيات ترمزإلى وقائع أبعد وأعمق فى شخصيات روائية موجودة في بعض الروايات التي تحمل مشاكل المرأة.

المرأة وصورتها استعملت في هذه الروايات الثلاث كرمز للبلاد للتعبير عن فكرة وحقيقة تحترم البلاد والوطن فالحقيقة أن رواية "عودة الروح" هي سلسلة تطوير للرواية والشخصية النسائية في الرواية تؤدي دورين، الدور الأول هو دور ظاهري ينجم من اشتراكها كشخصية نامية في تكوين أحداث الرواية وهي بذر الحب لأفراد الشعب كلها.

الدور الثاني هو رمزي وهو أق رب مايكون إلي التجريد وهذا الدور في الحقيقة رمز للوطن الذي يعبد والروائي يعتقد أن سنية فتاة برجوازية ذات جمال وحسن لقيت تعليما عاليا وحجبت في المنزل تدرس شئيا من الروايات وتمارس البيانو وكان الفتى

محن أول شخص سخر حياتها الوجدانية وبفضل جمالها تجذب القلوب وينتمى كل فرد من أفراد الوطن والمجتمع أن تكون له ينافس في أخذ قلبها وجعلها معبودا في صوره[46].

رسم توفيق الحكيم صورة إبداعية لشخصية سنية واعتمد علي إبراز النواحى الإنسانية في حياتها وقام بتقديمها عضوا حيا متحركا وفعالا ناميا ورغم ذلك أنه لم يعط سنية أي بعد وطني أو رؤية تحمل العمق في الفكر الوطني وكذلك لم يعط المؤلف لونا سياسيا لشخصية سنية لأنه قدمها كالمعبود لا حاجة له إلي أي شيئ والناس كله محتاج إليه.

نرى في هذه الرواية أن صورة المرأة المتمثلة في عودة الروح تظهر مزايا فتاة الطبقية الوسطى في عصرها في جانب وفي جانب آخر تظهر الوطن المعبود الذي يدفع ويحض الشعب ويؤديه إلي ميدان النضال للدفاع عنه وعن شعبه.

وبعد هذا التقديم نرى جليا أن الحب والغرامة التي تحملها الرواية الرومانسية كانت في الحقيقة تعبيرا عن انعدام الحرية الذاتية وسوء الأوضاع الاجتماعية لصلة الرجل بالمرأة، فالروائي هو نفسه يعرض المرأة المتأزمة لم يسرح نظره عمقا ليصل أزمة المرأة بأزمة المجتمع،لأنه بنى تخطيطه لصورة المرأة و بحث أزماتها على جانب واحد من الحياة الاجتماعية.

فأزمة الحب تنسى زينب عند هيكل أزمة واقعها المادي والمآسى الأخرى تفوق أزمة الحب وبالخصوص عندما كان زوجها أثرى من حبيبها وأقوى و أشجع منها.

[46] توفيق الحكيم عودة الروح ص 191

وعندما يعرض الروائي جنس المرأة متمردة وثائرة علي عادات وطقوس المجتمع وخارجة علي تقاليده ومخالفة للرجل السالب حريتها فلا يتعدى زاوية واحدة وجانبا واحدا ولا يتصف بعمومي ة الوصف أو العرض لأنه تظهر الرواية الأزما ت السائدة في المجتمع وعواملها كلها وتكون تصوير الأوضاع مقصورة علي جانب واحد ومشكلة جزئية من مشاكل الواقع المادي.

ولذلك تعتبر صورة المرأة في الرواية رمز عن أزمة الفرد في صلته بمجتمعه الذي يعيش في ه، وكان هذا الاعتقاد في عصر وعظمة الرومانسية, والتأكيد علي حرية الفرد ولكنه تحول إلى مساوي ومعايب في صورة عاجلة تعزل الفرد عن مجتمعه ويجعل القارئ يشعر بأن الصورة العارضة للمرأة في الرواية لا تبرز إلا جانبا خاصا وهو نظرية الكاتب،ويظهر أن القضية هي قضية الفرد لا أزمة المجتمع كله.

صورة المرأة في الرواية العربية:

المرأة تكون محورا هاما في الرواية العربية الحديثة ولا تخلو رواية عربية من وجودها إلا تدخل المرأة فيها لقيمة وجودها في المجتمع ويحدث هذا من أسباب وعوامل اجتماعية ودينية وأخلاقية وسياسية فالمرأة في رأي التقدمين نصف المجتمع وهذا هو السبب أن القراء أوالأوساط الأدبية تعد الرواية رواية مستهجنة إذا خلت عن وجودالمرأة وفي السطور التالية تتعرف على رأي "حنا مينة" و"عبد الرحمن منيف" في شخصية المرأة وهل أعطيا مكانة خاصة للمرأة ؟

فنتناول أولا حنا مينة إنه يقيم الإنسان من خلال سعيه ومقاومته ونضاله ويسعى دائما إلى التحرر والاستقلال من براثن الأوضاع والتقاليد السلبية التي تحيط به وذلك لإحراز السعادة و تحقيق الرخاء وقضاء الحياة الكريمة ونيل الاحترام من قبل بني الإنسان.

ومينة يرى جيدا ويدرك ان النضال يؤدي دورا كبيرا في حياة الإنسان، والإنسان لا يصل إلى حريته ولا ينالها ولا يكتسب الكرامة في العيش إلا بقوة النضال سواء كان عن طريق العلم أو العمل فيعتقد أن المرأة إنسان وهي لا تستطيع أن تنال حريتها وكرامتها إلا بهذين الطريقين بالعلم والعمل ---

وفيما يلى أحاول توضيح كيفية وطريقة التضحية لدي المرأة في عملها ووعيها في الميدان السياسي.

1 المرأة العاملة

تتضامن المرأة في المحيط الذي تعيش وتقضى حياتها فيها كما هو حال الرجل وتسعى المرأة في سبيل تطوير مقامها وتحسين أوضاعها الاجتماعي،ففي وجهة نظر مينة المرأة ليست مكتفية بالإيمان بالغد وإنما تؤكد وتعضد إيمانها بالعمل وتنف د مشيئتها وإرادتها لخلق وإيجاد الواقع الإيجابي[47].

فإلحاح المرأة وخاصة في صورة الأم على الاكتساب والعمل تأكيد على تحقيق رغبتها وإرادتها في مشاركة الرجل في العمل وتضلعها بالمسؤلية لتوكيد وتثبيت ذاتها

[47] صلاح فضل منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ص 57

وتعاون الرجل وزوجها في التكفل بالعبء والمسؤلية لإخراج الأسرة في ظروف وأوضاع قاسية.

تعرض رواية "المصابيح" أم صقر وهي إمرأة تسعى في عملها وتحاول للاكتساب لنفسها وإبنها فهي تنهض صباحا مبكرا وتخرج لتعمل في البيوت للرزق فحركتها هذه ونشاطها العادي اليومي يمثل إيثارا وتضحية تبذلها الأم المناضلة،فهي على رغم هيكلها الضعيف وشكلها المتهدم لا تخضع ولا تتسلم للراحة والسكون وإنما تستمر في المكافحة لتضمن تواصلها في الحياة.

فالمرأة أم صقر شكل ضعيف وهيكل غير قوي له عينان غا ئرتان تملأ حدقتهما بالدموع ويستمر الجفنان في دوام الجريان وفي الحقيقة هذه مرأة مناضلة تحاول جهدها وتكافح لعيش حياتها وتناضل للبقاء وتكسب لها ولمن عال عليها.

وشخصية أم بشير تعد من النماذج الرائعة التي تعرض المقاومة والكفاح الذي يستحق الإكبار والإعجاب ،أم بشير هي إمرأة تقتحم للحياة وتتحدي جميع الأوضاع القاسية والظروف القاهرة وهي من النسوة ممن يعير أهمية قصوى العمل والنضال والكفاح السياسي وتفتخر بقدرتها العملية وتباهي بتمردها على الصور النمطية وتنادي أن الحياة لا تصرع إلا من يخافها وهي لا تخشى ولا تخاف الحياة فهي إمرأة تحمل صفات الرجل في وقت واحد ربَت أولادها وعقدت زواجهم واشتركت في صراع الحياة بكل قوة وعزم وجرأة وبسالة قلما يوجد حتى في الرجل في أمثال هذه الأوضاع التي واجهت أم بشير وتحدتها في كل خطوة مشت وفي كل أرض وطئت وناضلت الحياة ونجحت وفازت رغم جميع العوائق التي تصدى لها طوال عمرها[48].

[48] حنا مينة الثلج يأتي من النافذة ص 117

فالكاتب يعير أهمية قصوى لربط الإنسان بالعمل وهذا جلي ومتبلور من صورة أم بشير فهي قدمت نفسها أمام المجتمع عضوا ناشطا وإمرأة فاعلة في العمل والسياسة وكانت مؤمنة بقدرتها الخلاقة علي العمل واقتحامها للوعي السياسي أيما كان نطاقها وسيعا أو محدودا.

عندما كان النضال يملك أهمية في حياة الإنسان الاجتماعي ويعود بالنفع لكل أفراد المجتمع سواء كان فردا أوطبقة في الأمن والسلم فالاحتياج إلى خوض المرأة في ميدان العمل له أهمية بالغة في زمن الحرب والاضطراب.

ويوحي النص الروائي "المرصد" عن صورة شخصية "رباب" وهى من أهم الشخصيات في الرواية قوة عمل المرأة وقدرتها عندما شمرت ساعدها للنضال والمساهمة في تطوير المجتمع.

وتركز الرواية على الصراع العربي الإسرائيلى الذي حدث على الجبهة السورية في شهر رمضان عام 1973م، كانت رباب في البحث عن العمل الإضافي عن طريق الانضمام إلي أحد المشافي، ولا يعد هذا إلا من قمة الكفاح والنضال وهي تأكيد للوجود واستشعار بالسعادة وتقوم بتثبيت كفاءتها على العمل والمراس.

وعندما تحاول تقديم العون للجندي المنكوب تلتمس منه الانتماء إليها أثخن الجرح فيها ولم يعمل كان الجندي ضخيما وجسيما وكانت رباب لينة فحاول الجندي العيش بدون تعاونها لكنها قامت برفع يدها ووضعها على كتفها، أنا جسيمة وفي الكفاية أعتمد علىَ وأخذت به إلى السرير كانت شاعرة وجدانية داخلية لأنها كانت تعطي عملا مفيدا.

فرباب فازت ونجحت في حركتها التطوعية والتي تدعم وتؤكد كفاءة المرأة على تحقيق عدة أنشطة عملية خارج المنزل في جانب وكذلك تؤكد شعورها بأهمية عملها في موقف حرج ومرحلة خطيرة يفتقر إليها المجتمع إلى كل عنصر وعضو من أعضاءه ليبلغ قصده ويصل إلى الانتصار في جانب آخر.

وكل ما يتمحور عليه حنا مينة هو الدفاع عن عمل المرأة ظنا منه وإدراكا لقيمة العمل وتحوله إلى كفاح يؤكد مكانتها ويقوم بتصحيح المفاهيم ذات الصلة بها وكذلك يظنه حقا شرعيا تقوم فيه مع الرجل سواء بسواء.

أما نظرية حنا مينة في المرأة الأم فإنه يتناول مشاكلها ومعاناتها وقضاياها لأنه تأثر وتفاعل بنفسه بتفاصيل الحياة التي قضاها فهو الذي لم يقدر على محو وإزالة ذاكرة صورة أمه بينما كانت تكافح و تستميت وتخاطر بنفسها في سبيل العائلة وإذا اتفق له الموازنة بين الأم والأب مال إلى الأم التي اضطلعت بأعباء العائلة بالنسبة إلى أبيه الذي كان وجوده غائبا في مساعدة الأسرة في أكثر الأوقات.

فالأم شخصية قوية وصورة غالبة عند الكاتب حنا مينة وهي مكافحة ومناضلة وتكون لبوءة حينما اقتضى الوقت وتذود عن أولادها عند تصديهم لأي نوع من الخطر وتبذل كل غال ونفيس لأجل توفير دواعي السعادة وأسباب الرخاء وتزيل كل عرقلة عن طريقها طوال عمرها.

فالأم صورة لامعة في المجتمع لا تبرز إلا لإزالة الأذى والألم وتجمع قواها الجسدية والروحانية للخوض في صراع ونزاع خارجي أوداخلي وتقتحم كل ميدان وتفتح كل مجال وتدخل كل طرق في سبيل بقاء أولادها وعائلها ولا تكترث بأي قوة مهما كانت جبارة وقاهرة وتسد الجوع وترد الظلم الاضطهاد وتسعى في علاج المرضى من

العائلة ويحاول في إيواء العالة وتخوض في المعركة مع الموت وهي المأوى الوحيد عندما تنتهي جميع المأوي وهي مصدر النعم والرخاء[49].

والحقيقة أن الأم توجد في أمومتها وتقدر أهميتها في مجتمع تغلبه الأساسية الذكورية المجتمع الذي يسد الأبواب أمام بإسم ذرائع كاذبة ومفاهيم خاطئة وتفتخر بذكريته وبالتالي فإن أكبر شئ تعتز به المرأة في المجتمع هو الأمومة وبفضل الأمومة وحدها تشعر المرأة بأنها أيضا إنسان محترم وعضو شريف تمنح الكرامة وقلما يقبل المجتمع المرأة في ثوب آخر.

فيتمخض بحثنا هذا في شيئين مهمين يجعلان ويدفعان المرأة للتضحية وهما فيما يلى:

1. السبب والعامل الطبيعي وهو قوة غريزية تعبر المرأة عن حماية أطفالها عن أي سوء وأذى.

2. والعامل الثاني هو العامل النفسي الذي يدفع المرأة لتثبيت حضورها في المجتمع هو الإنساني والاجتماعي.

ومن خلال هذا البحث يتبلور أن حنا مينة عرض صورة المرأة المناضلة للعمل أوالمكافحة في سبيل بقاء الأسرة مضحية بنفسها، ويزيل حنا عن المرأة كل عجز أو قصور لاصق بها في المجتمع، ويثبت أن المرأة يمكنها أن تواكب الرجل في جميع المجالات في الحياة سواء كان المجال العلمي أوالمجال العملي أو المجال السياسي، ويمكن أن تسخر طاقاتها الروحية والجسدية في تحسين المجتمع الذي تعيش فيه وتقدر على حل المشاكل بالمشاركة مع الرجل والزوج.

[49] صيا ح الجهيم ملامح من حنا مينة ص 12

الوعى السياسي والمرأة:

يرى حنا مينة أن المرأة تدخل المجال السياسي على وعي جزئي بالسياسة في معظم الأوقات وربما تكون على بصيرة تامة بشؤن السياسة وأمورها وتجيد السياسة وتتقنها أحسن من الرجل.

ويتبلور وعيها السياسي في رواية" المرصد" تظهر فيها رباب في ثوب إمرأة محنكة سياسيا ومملؤة بعاطفة وطنية صادقة فهي تحاول تكوين وخلق الوعي السياسي في المرأة والمجتمع بعد نقاش طويل مع زوجها عقب هزيمة 1967م، وتسأل رباب زوجها ماذا يمكننا أن نفعل الآن ويجيبها زوجها: علينا أن لا نغلق عيوننا ويتحتم علينا أن نرى كل شئ بجدية وعلينا أن نترك ونتخلى عن الغرور وندرك من نحن ونتعرف على أعدائنا ومن هم[50].

وتبحث في الهزيمة وأسبابها بحثا عميقا حتي تؤدي إلى الوعي وتثبت الصحوة السياسية لرباب في حرب 1973م، حيث تندلع عن طريق تفاءلها وإيمانها بأنها سوف تفوز بالمعركة وعندما يصل الخبر إليها بتحرير المرصد تصدق بها فورا لأن زوجها كان في المعركة وكانت إمرأة متفائلة ليست متشائمة.

وتظهر انتمائها حينما تسمع خبر التحرير حيث أخذت الصورة عن الجدار وأعطتها قبلة ورفعتها في حضنها بكل شوق وسعادة وهي في حالة لا تعرف أن الزوج هو الذي أخذ العلم بيده عن السارية إلا أنها كانت مؤمنة قوية بأنه كافح بشجاعة وأنه

[50] حنا مينة المرصد ص 107

الذي انتحب بعد هزيمة حزيران، وهو الذي انتقم له ولوطنه ولأهله والآن صار حرًا في أن ينظر في مرأة الماضي ويعشقها بصميم قلبه ولا يخاف أيَ شئ في الوجود.

والرواية تشير إلى العلم والتجربة في الميدان السياسي وفتح المدارس وإنشاء الجامعات وعمل المرأة جاهدة لإثبات وجودها الاجتماعي، فرباب ولدت في مدينة دمشق وتدخل المدرسة وتواصلت دراستها ثم التحقت بالجامعة وظنتها جرأة كبيرة وتحديا ولكنها قبلتها[51].

ويذكر الكاتب أهمية المكان في تحرير بني الإنسان لأن الأمكنة الشعبية أقل سعادة حينما ليست متحررة وتفتقر إلى بذل وقت كثير في سبيل النهوض بها.

ويفرح الكاتب بالازدهار الذي أحرزته المرأة باستغلال الوسائل الجديدة ويعلن سروره:

"وإنها لتضحك الآن من ذالك التحدي كله حين ترى إلى الطالبات في لباس الفتوة الصبايا في التنانير القصيرة صيفا،والبنطلونات شتاء، تقول في نفسها:

"المرأة حققت تقدما هائلا،خرجت من الحريم وانطلقت في مجالات العلم والعمل وقد عملت هي في التعليم بعد تخرجها من كلية الآداب"[52]ـــ

وينادي حنا مينة بخروج المرأة من البيت إلى واقع الحياة لنيل حقها الشرعي في التعليم وعمل الحياة لكي تقوم مع الرجل وتشاطره في جميع الحيوات المهنية.

وفي " الرحيل عند الغروب" عمد حنا مينة إلى الكشف عن غرام المرأة بصورة عامة ويبدو أنه أراد أن يضم إلى المرأة فعل القوة من داخلها أكثر بكثير من الرجل والشاب.

[51] نفس المصدر ص 116-117
[52] نفس المصدر ص 117

ومن الكتاب الكبار الذين عالجوا شؤن المرأة في رواياتهم عبد الرحمن منيف فإنه قام بمعالجة قضايا المرأة في رواياته ولوأن دورالمرأة لم يكن دورا رئيسا في رواياته.

المرأ ة في رواياته تبرز في شخصية الأم والأخت والإبنة في حدود البيت العربي ولم تخرج المرأة من حدود بيتها في رواياته وكذلك لم تقع في الحب ولم تمارس الجنس وتأخذ المرأة مكانة لا بأس بها في روايتيه "الاشجار" و "اغتيال مرزوق" وكل من البطلين الياس نخلة وعبدالسلام يحملان مشاكلهما الخاصة بالمرأة.

وفي جانب تترنح المرأة بين الرمز والواقع وفي جانب اخر تعكس المرأة صورة واحدة إنها تعكس الطمأنية والهدوء للرجل والجنس المعارض.

توجد المرأة دائما في كل حركة من حركات الياس نخلة وهو ينتقل ويتجول من عمل إلى آخر ويصير من حال إلى أخرى وربما يتحول من إمرأة إلى أخرى في مسيرته الحياتية والمرأة عضو مساعد في تعدى المظالم وتذليل المشاكل.

والمرأة تعكس رمزالنمو والعطاء بغير حدود وكذلك تجسد السعادة كالاشحار وفي روايته"قصة حب مجوسية" تعكس المرأة شخصية رئيسية ودورها دور هام في هذه الرواية. توجد في هذه الرواية نسوة كلهن اجنبيات واحتفظ منيف بإبقاء النسوة سجينات، سجينات واجباتهن الزوجية وكذلك سجينات رغبات الرجال وشهواتهم وهي فقط للجنس لا لغيره من العمليات في الحياة الإنسانية.

وقدم للمرأة صورتين في روايته"شرق المتوسط" وهي أن المرأة صورة إما للخير أو للشرَ داخل حدود بيوتهن أحياناالأم وبعض الأحيان الإبنة وفي حين الزوجة,فالمرأة

تمثل الشر واللعنة إذا أصبحت عرقلة في طموحات الرجل وإرادته فشخصية " أنيسة" أخت البطل فى الرواية "رجب" تعد سببا في مصرع أخيها المكافح فسكبها الدموع يدفعه من أعزائه من الأم أو الأخت أو الزوج.

وأنيسة هذه تؤدي دور الأخت الشرير والحنون في نفس الوقت، ويقدم منيف المرأة مظهرا المفاتن في روايته "سباق المسافات الطويلة" والرواية تدور حول موضوع بوليسى وتتحدث عن رجال المخابرات الذين دخلوا في بيروت لاقتناء المعلومات وخلع الحكومة، ففي بيروت توجد نسوة جميلات ك .."شيرين" تغ ري "بيترماكدونالد" المخابر الانجليزي، وشخصية شيرين تتطلع دائما إلى العشق والحب والغرام وتشاطر في التجسس وتعبت كثيرا، وهذه الرواية تعبر عن موقف منيف تجاه المرأة العربية ويرى أن المرأة في الشرق لها عالم خاص وتقدر على إبراز مفاتنها ولكنها تخجل وتخاف الآخرين، وعندما تحادث معها تظن أن شيئا من الأشياء يراقب كل كلمة تفوح من فمها وتتعرض لحالة الارتباك، والمرأة في هذه الرواية كطائرة دائما تنتقل من رجل إلى آخر، تدور حول قطب وتستقر إلى الأول.

والخلاصة أن رجب يسقط بسبب دموع أخته أنيسة ويسقط ماكدونا بسبب جمال جسد شيرين.

وإذا ألقينا نظرة على روايته "مدن الملح" وهي تجمع بين عديد من النسوة من الأمهات والأخوات والزوجات وخادمات ومنجمات نرى مرة أخرى كذالك أن عبد الرحمن منيف احتفظ بهويته من إبقاء المرأة

داخل منزلها وتقوم بواجب منزلي وتتولى شؤون المنزل كأم وربما كزوجة وخطيبة ورغم كثرة النساء في الرواية تعد رواية ذكورية كمعظم رواياته فلا دور للمرأة في الحياة العامة.

وتوجد في رواياته اتجاهات جاهلية حيث إذ انجبت المرأة بنتا يسود وجوه الرجل وإذا أنجبت له ولدا يخلع ويوزع الحلاوى في المنطقة والحي، وكانت البنت تتوارى وكان الولد لا يكشف ويفشي أمره كي يحتشد الثناء والمدح من المجتمع والعائلة وأفراد القرية.

وكذلك نجد هذا الاتجاه في روايته "الآن" حيث تتواجد هناك ايماءات إلى رفض الصبية وتفضيل الولد عليها، ويلاعب السجناء بعاطفية "المساعد خليل" الذي أصبح هدفا للسخرية والاستهزاء لأنه لم يرزق إلاعدد من البنات فوصفوه بأنه "ديك روحي مات، مات ما خلف إلا البنات" وهو يستشاط غضبا ويتوعد بسوء النتيجة[53].

والحاصل أننا لا حظنا من روايات عبد الرحمن منيف أن هناك جهدا دائبا لإبراز هذه النظرية الخاطئة التي مضي عليها المجتمع وورث أبا عن جد تجاه المرأة ولم يستطع أن يلغي هذا الاتجاه ولم يحاول أو حاول إلا قليلا لتحويل المعايير الخاصة بالنسوة،إلا أنه يعرض مكانة المرأة في المجتمع العربي في خطوات عديدة ولكن في أمانة وصدق ولا نجد المرأة في رواياته عضوا فاعلا في الوطن العربي.

[53] عبدالرحمان منيف الآن هنا ص 409

الفصل الثاني: صورة المرأة في الرواية الفلسطينية

إن من يقرأ ويلاحظ أوضاع المرأة في الكتابات والروايات الفلسطينية يرى أن أوضاعها لا تتعدى أربعة صور، الأول: المرأة التي تم استغلالها وتعرضت للاجتهاد والظلم وطحنت في المجتمع، الثاني: صورة المرأة التي تقدم للشؤون الخارقة للعادة والتي تغامر الآخر، الثالث: المرأة التي ضاعت في الأوضاع الفلسطينية وأثقلت بالعيب، الرابع: صورة المرأة التي هي علامة وأمارة للازدهار والتقدم أو تجسيد لجمال الحياة في فلسطين قبل أن يقحمها الاستعمار. وهذه النماذج المتقدمة لا تعني قط أنها صيغة كلية لوجود المرأة في كتاب الروائيين الفلسطينيين لأننا نعتز على وجود نموذج آخر نرى فيه المرأة عن طريق الرمز والقناع والخرافة والمشاكل العامة وكذلك المشاكل في مجال التعليم والثقافة والقضايا الموجودة في المجتمع الفلسطيني وكذلك توجد هناك كثير من الصور الأخرى لجنس المرأة سواء كان في صورة الأم وصورة الزوجة وفي شكل الأخت وفي شاكلة الحبيبة والمرأة العامة. والفتاة الطالبة والفتاة المثقفة والمرأة المكافحة والمناضلة والمرأة الرمزية والمرأة الأسطورية الخرافية ودواليك وفيما يلي من السطور حاولت جهدي في عرض صور وعدة نماذج من جنس المرأة لدى الروائي غسان كنفاني ولدى الروائي إميل حبيبي الفلسطيني.

تجسيد المرأة في كتابات و روايات غسان كنفاني:

يقدم الروائي الفلسطيني غسان كنفاني في "رجال من الشمس" صورة المرأة التي هي الأم وكذلك يقدم ويهتم بعرض المشاعر والعواطف وما تعرضها وقاساها بسبب عائلتها وأعضاء أسرتها وأفراد مجتمعها طوال حياتها وفي حياتها العملية.

جنس المرأة يتجلى في صور أربعة في رواية غسان كنفاني:

1 -الصورة الأولي هي صورة المرأة كالأم وتلعب دورها "أم قيس" والتي قضت وبذلت حياتها كلها قبل النكسة الفلسطينية حياة امرأة شارعة وعادية وعاشت حياة ضنكة كانت أم قيس تتمنى ولادة الطفل الثاني بعد ولادة قيس ولكن بعد هذا التمني وهذا الحلم أصبحت شريدة ومطرودة ومرأة لاجئة مع زوجها الفلسطيني وأصبحت فقيرة مسكينة لا مال لها ولا ثروة. ولكن بعد النكبة والنكسة الفلسطينية الشهيرة إنها تنجب طفلة ولكن من المؤسف أنها لا تحيى مدة طويلة حيث تموت بعد مدة شهرين أو ما فوقه وبعد مضي عشرة أعوام على مرور النكبة الفلسطينية تضطر أم قيس إلى أن تغادر مع زوجها إلى دولة الكويت للبحث عن العمل لتعيش بقية حياتها بعيدة من القتل والدمار والتجويع وشغل قلب أم قيس طوال عشرة أعوام هذه فقدها الطفلة وفقدت الأمل في الولادة[54].

[54]نجاح حبيب مجلة الفكر العربي المعاصر بيروت العدد 25

تصل أم قيس إلى دولة الكويت وتسعى ليل ونهار في تحقيق ما تمنية وترجمة أحلامها في قضاء حياة سعيدة ومترفة وبناء بيت ومنزل في أي مكان لتعيش مرتاحة الحال ومطمئنة البال وكأنها أبقت بأن القضايا والمشاكل الموجودة في أرض فلسطين لم تدعها لتنجز أحلامها وتحقق ما تمنته، والظروف التي حدثت بسبب الاحتلال والتشريد الاجتماعي العام فيها لن يستطع على إنجاز الأماني والتمنيات التي تنبض في قلب أم قيس وزوجها وكل منهما متشائم تجاه الأمن والسلامة وعودتها إلى بلادها الفلسطين وظنت أن فلسطين قد ضاعت وأرادت أم قيس وعزم زوجها على أن يحول حياتهما ومستقبلهما المتشائم إلى أحسن حال وأطيب منال كيفما كان.

وتوجد شخصية أخرى في هذه الرواية في صورة أم زكريا التي ترحم أولادها وتستعطف معها وهذا في الأحوال والظروف التي قعد زوجها عن أي مسؤولية يحمل في أولاده والتي يصل عددها خمسة ويريد زوجها أن يعقد الزواج مع امرأة أخرى وفي هذا الأثناء يقدم ابنها زكريا على قطع المال الذي كان يرسل إلى أمه وزكريا هذا كان يعمل في دولة كويت ويسد ويمنع معونته ومساعدته المالية عن أسرته وأمه وأخواته وهذا يحدث بعد زواجه مع فتاة في كويت ومهما كان الأمر فإن أم زكريا لا تصبر على إهانة زوجها وابنها رغم ما عملاه معها من الخيانة وقطع المساعدة المالية وكانت أم زكريا تحث بأن العاقبة الفردية والعضوية بعد النكبة الفلسطينية ونكستها وما حدثت مع زوجها وابنه زكريا يقلق مضجعها وكانت دائما تتفكر في كيف يمكنها أن تضطلع بمسؤولية عيش بناتها وأخواتها وكيف تحمل العبء وهي مسؤولية كبيرة ليست تافهة لا تتحملها إلا ذات قلب قوي وطموح ولكنها صبرت تأكدت أم زكريا أن النكبة هي التي سببت في تشريد الناس وتفريقها وأجبرتهم على أن يوجد حلولا عضوية وكانت بنفسها امرأة محنكة وحكيمة وأما رشيدة وحنونة وعزمت على تماسك عائلتها

وتقوية أسرتها والإيثار والتضحية الكبيرة في هذا السبيل وتذليل جميع الصعاب وإزالة جميع العراقل والعقبات الحائلة في تحسين أحوال أسرتها والقضى على المشاكل التي تواجهها أسرتها وتتعرض لها عائلتها في أيام حياتها وأول تضحية قدمتها في هذا السبيل هي تضحية ابنها اسمه مروان والذي كان من عمره عشرة فقد أقدمت الأم على قطع تعليمه بسبب المشاكل المالية وأخرجته من المدرسة وأرسلته إلى الصحراء للمارس الأمن ويكسب المال ويعين الأسرة في إدارة الشؤون المنزلية وتدبيرها وأن يكون عونا في بقية أعضاء الأسرة والعائلة فهنا نرى جليا وبوضوح أن جنس المرأة وهي الأم هنا أقدمت ودفعت جنس الرجل وهو ابنه على المخاطرة والمغامرة ليمارس المهنة ويكسب الأموال لعيش باقي أفراد العائلة على كسبه والذين هم يعيشون عيشة التشريد في البلاد التي ليست لهم لأن لا يواجه قسوة الظروف ومن هنا يبلور من الرواية أن الأم هي التي أقدمت على التضحية لنفسها في رخاء الأسرة.

الثاني: المرأة العانسة، المرأة المعاقة العذراء.

يقدم غسان كنفاني في نفس الرواية صورة الجنس المرأة الأخرى وهي صورة الفتاة العذراء ويقدم حياتها المعذبة وتجربتها المريرة وعيشها القاسية وصورة البنت العذراء القعيدة والتي تكون ثقلا كبيرا على أسرتها وعائلتها التي تتوخى وتنوي زواجها بأي شخص كان وبأي صورة كان وهذا بمجرد تخلصها من المسؤولية والعبء العائلي[55].

[55] نجمة خليل حبيب النموذج الإنساني في أدب غسان كنفاني ص 105

هذه هي حال شفيقة التي هي كسيحة وهي عبء وثقل على كاهل وعاتق أبيها أتى بها أبوه إلى صديقه المعمر اسمه أبو زكريا قائلا له إن هذه البنت تحمل بيتا مكوّنا ومتألفا من حجر ثلاث في ناحية البلد ويتوخى أبوها شيئا خاصا وواحدا وهو أن يلقي عبء بنته التي تعدم رجلها اليمنى خلال الهجوم على يافا على عاتق زوج وهو على وشك الموت وينوي أن يزوجها مع شخص مناسب ويكون مطمئنا على حياتها ومسيرها في المستقبل الآتي[56].

ولا يختلف صورة ندى في هذه الرواية عن صورة شفيقة فيعتبر أبوها حملا وعبئا وثقلا على نفسه فيتكلم مع أخيه الذي هو والد أسعد في تزويجها معه ويعاون والدها الفتى أسعد ليغادر إلى دولة الكويت ليستوطنها ثم يعقد الزواج وعن هذا الطريق يريد إزالة قلقها عن عاتقه فيستغل أسعد هذه الفرصة ويعتزم على عدم الزواج في هذه الصورة وبالتالي يعرض صورة الانتهازي الصامتي لا يرتبط به أي شيء إلا الحصول على تكاليف السفر وتحول من مكان إلى آخر ومن هنا نرى كيف استطاع الأب على تربية الابنة وبعد مضي الزمان يعتبرها عبئا وثقلا ويحاول أن يتخلص من ابنته في أي طريق كان ويريد محوها من حياته ليكون حرا طليقا من أي مسؤولية عائلية.

ثالثا: المرأة في صورة الأم.

المرأة تبدو عادية ومهمشة في شخصيات الروائي غسان كنفاني ولم يعر أي عناية واهتمام طقاساتها ومعاناتها وقضايا الاجتماعية وحينما يقدم الكاتب شخصياتها

[56] غسان كنفاني الآثار الكاملة ج1 ص 80

وحياتها في كتاباته ورواياته يقدمها بلوازم وبالمواسفات ليست خاصة فعلى سبيل المثال يدخل امرأة شهيرة في روايته اسمها أم سعد يصور الكاتب المزايا والخصائص الشاملة لأكثر النسوة الفلاحات وهذا ليس فقط في فلسطين بل يوجد في أنحاء العالم أجمع فأم سعد امرأة عجوزة يبدو كأنها أصبحت شيخة قبل الوقت ولكن قوة عزيمتها وإرادتها شابة حتى الآن فهي تدبر وتدير الشؤون المنزلية العامة وتقوم بإعداد الأطعمة لأسرتها ولعائلتها وتقوم بسد حاجاتها من الأسواق وتمارس شيئا من أعمال الخيط ومن أربع جوانب ونواحي حياتها أنها لا تقر ولا تعترف برسوبها وفشلها وهي امرأة عجوزة خاضعة لرغبة زوجها وتنزل دائما كلا رغبتها وتخضع لهواها ولا تسأل حينما يطرق البيت بل تطمئن على ما يقول لها وإن لم تقتنع بما يقول زوجها وإن حالت يوما في تصرفات زوجها فهي لا تخاطبه بالكلام فإنما تشير إليه بالسخط وملامح الوجه وتعبر عن غضبها بنظرها وعينها القاسية ويشيد الكاتب أن عينها مملوئة بالمعاني الكثيرة إلا أنها لا تتبع الاصطدام والمواجهة ولم تتح زوجها الفرصة في عشرين سنة ماضية ليؤنبها ويؤنجها[57].

رابعا: المرأة الراقصة.

كوكب هي امرأة راقصة وتقتحم في روايته عن طريق استعمال هوى الرجال خلال وأثناء مجيئ وذهاب من طبقة أصحاب السلطة والتجار ورجال الأعمال وأصحاب الوظيفة لأن تراجيديا النكبة الجنسية دخلت في أفكار السلطات ورجال

[57] فيحاء عبدالهادي نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية ص 96

السياسة والجيش ورجال الاقتصاد ويعد القمع الجنسي من أبرز العوامل والأسباب التي دفعتت إلى النكسة وتواصل الحرمان[58].

خامسا: رمز الأم

وإذا تناول رواية "أم سعد" وهي رواية وحكاية المرأة المكافحة التي تعيش في مخيم اللاجئين وهي تكتفي ببلورة وتوضيح صورة نسوية ذات وحدة مستقلة وهي شخصية رئيسية في الرواية. وتتجلى أم سعد في صورتين الأم الحنون والأم الرمزية وهي امرأة واقعية في بداية الرواية ونداء الطبقة والجيل الفلسطيني التي أعطت تضحية كبيرة وتستمر وتدفع ثمن الخسارة والنكبة وهي امرأة مكبوتة مكبوحة سحقتها الأحوال وهي تعيش مهدودة الجسم في المخيم ولكنها طموح لا تستلم إلى المشاكل ولا تعطي فرصة الشماتة وهي رمز للمناضلة والكفاح الذي لايفتر ولا يخمد ولا ييأس من النشاط والحياة وهي علامة التحمل وأمارة للصبر. ومن هنا تعتبر أم سعد خطبا رمزيا ومحورا تتمركز حوله الرواية الفلسطينية وهي لا تمثل فقط الجنس النسوي وإنما تمثل مجموعة من القيم والمبادئ الإنسانية وصور الأخلاق والكفاح والنضال للشعب الفلسطيني طوال عمر الاحتلال إلى زمنها مع جميع الأبعاد وهي امرأة عجوزة مكتظة بالملامح الإنسانية التي تأصلت وتجذرت بالأرض المصلوبة من الفلسطينيين قسوة وعنوة في نكسة 1948م وقضت حياتها مقيمة في مخيم اللبناني ولكنها مع هذه المشاكل والقضايا والمقاساة والمعاناة لم يعل صبرها وتعززت قوتها وعزيمتها وبعد نكبة حزيران 1967م التي خلقت مجموعة ثقافية ومتشائمة تتفكر دائما أن تعود إلى بلدها ومسقط

[58] عبدالرزاق عيد دلالة الرمز في الرواية الفلسطينية ص 41

رأسها وأرضها التي ولدت فيها عاقدة عملها على الفدائيين ومملوئة بالمنظومات العربية وجنودها وتوجد علاقة ود وصداقة حميمة وهي قوية كما لا يقدر الصخر وهي مثابرة كأنها لا تطيق الصبر ودائما تمثل شيئا انبعث من باطن الأرض تسكب دموعها كما ينبع الماء من الأرض ولها وجه لونه كلون التراب يحكي ملامح الهزيمة التي صورتها بعبارتها "بدأت الحرب بالراديو وانتهب بالراديو" أصبح يومها كالصحراء الجرداء من الجهد المزني شغلت نفسها في الشؤون المنزلية لكسب قوتها اليومة المشوبة بالإهانة تتعرض أم سعد لتهمة الهزيمة للشأن العرب بدا من المختار الذي يتوخى من أصحاب الفدائي أن يبرم عقدة وعهدا بمقتضاه "وادم" ومضيا بالحركات العسكرية التي رست في النضال ونهاية بالراوي المحنك المتشائم الذي يتهمه أم سعد بأنه محبوس في غياب الكفاح الذي يوقع عهده وادم كل منكم قام بتوقيع هذه المعاهدة بنوع أو آخر ومع ذلك انتم ما دمتم محبوسين فحياة المنفى والمخيم أو أي لحظة أو مدة مكث يحصل خارج الوطن فإنها ليست إلا علامة ذل وأمارة إهانة وشارة نفي وهذا هو يحدث في فكرة هذه البطلة والفرار من هذا الأسرى هو فقط أن يتمرد الإنسان على ظل الذل وذلك يتحقق عن طريق الانضمام والانتماء إلى معسكرة الثورة ومخيم الانقلاب لأن القوى الظالمة والاستعمارية وسلطات الاحتلال لا تفيدهم إلا لغة القوة والسطان والتمرد ينضم سعد متأثرا بأفكاره إلى جماعة الفدائيين وبعد انتماءه إلى هذه الجماعة تستيقظ مشاعره العاطفية والإنسانية وحب الوطن الصادق في نفس أم سعد أتعبت الهزيمة حياتها وجعلها المنفى عجوزا كدها التعب والكدح وذلك كله لكي تأخذ لقمة الحياة النظيفة وتتطعم أولادها من الحلال الطيب فأم سعد تؤمن فقط بالنضال للعيش الكريم الحر وحينما ينضم سعد إلى جماعة الفدائيين تفرح أم سعد وقدمت فلذة كبدها إلى ميدان الثورة في صورة مقاتل متحمس وتأمل من هذه التضحية أن تعود

يوما ما إلى إرضها الفلسطين تريد أن تعيش حتى ترى أرض فلسطين وتموت فيها في ترابها وتدفن في بطنها فجماعة الفدائيين وحدها تخفف من وطأطها الفكرية وتروح عن نفسها وهي آمالها المعقودة وما تعمل هذه الجماعة هو رأسمال حياتها ولها هي على قيد الحياة تتأصل أم سعد عن طريق تضامنها مع حكايات ثلاث تعتقدها نماذج ذكورية ومعارضة للانقلاب والفئة القادحة من الناس وهي نموذج الانقلاب الانتهازي المشوب بالخيانة وإخلاف الوعد ونموذج طريق السلم العربي وطريق البرجوازية الذي يستغل الآخري فقط وكذلك شجبت أم سعد المثقفين في عديد من المواقع والمناسبات كما أدانت زوجها أبا سعد فخان الناس عبد الولي في عهد الإنجليز وفترة الانتداب وهو الذي هو ارتكب جريمة قتل "فضل" لأنه تفاخر بين الناس حينما شجعوا وصفقوا لعبد الولي نفسي هي التي تمزقت وانتم تصفقون لهذا الرجل. وزجر صاحب الإمارة ووبخ وطرد المرأة التي كانت تنظف في بيته لأنها كانت طلبت سبع ليراث وأخل مكانها أم سعد مقابل خسم الإيراث عندما علمت أم سعد هذه الحادثة تركت العمل لأنها كانت في حق طبقة الكادحة الفقيرة وكانت ترى أن الطبقة البرجوازية تريد ضرب بعضنا ببعض كي يربح في حياتهم ويستغلوا حياتنا ويعرض الكاتب غسان كنفاني في نهاية المطاف الانقلاب والتغير الإيجابي الذي طرأ في حياة أم سعد خلال حياته في المخيم وذلك كله بفضل الانتماء إلى النضال المسلح وهو الخيار المسلح الطريق الوحيد للعودة إلى فلسطين ولعيادة أرضها إلى أهاليها الأصلى في المستقبل عاجلا أو آجلا. ويقول في نهاية المطاف بشخصية أبي سعد الذي اختفت من الرواية وتصف أم سعد زوجها "كان أبو سعد مدعوسا بالفقر ومدعوسا بالمقاهرة ومدعوسا بكثرة الياقة ومدعوسا تحت سقف زينكو ومدعوسا تحت بسطار الدولة" [59]. ولنصل إلى النتيجة من

[59] غسان كنفاني الآثار الكاملة ج1 ص 335

أن أبا سعد يدعس أمه ويتغير بنفسه كليا بعد أن انضم كلم من ابنيه سعد وسعيد إلى جماعة الفدائيين فأصبح فرحا وناعما ومداعبا خفيف الروح ويثني ويمدح زوجته ويقول إن هذه المرأة تلد مقاتلين وفدائيين لإعادة الأرض المحتلة إلى سكانها كان أبو سعد يرتاد ويروح ويذهب إلى المخيم كالديك ولا يهجر بارودة على عاتق فتى يتمرد ويثور كانت البارودة القديمة والمسروقة استعادها ونرى توجد هنا التغيرات عديدة ثورية ولكنها إيجابية أتت بها الرواية تحول أم سعد إلى أن تكون أما أخرى في داخل فلسطين جاءت لحفظ حياة سعد وأصحابه من المحاصرة الصهيونية من الجوع والقتل.

ونصل إلى نتيجة أن الكاتب لم يأت بهذه الشخصية النسوية في الرواية لوجودها في الحقيقة فعلا وإنما جاء بها ليوصل هذه الشخصية على مكانة رفيعة مرموقة وهي مكانة الأم الحنون والمكانة الأم الرمز الممثلة للثورة والأم النموذجية في الاستماتة والمخاطرة والقادرة على الخوض في المعركة الدامية والمصابرة على تضحية أولادها في سبيل استعادة العمل الشريف الكريم وهو إعادة الوطن[60].

تجسيد المرأة لدى إميل حبيبي

أولا: المرأة مع ذاكرة النسيان.

له "سداسية الأيام الستة" التي تقدم لفيفا وجماعة من النسوة في العلاقات العديدة وخلاصة روايته أن الحب من ثمرات الكفاح ويوجد الشعب وروايته سداسية الأيام الستة تتعرف من خلال الحب الذي يكون في البداية رمزا شاملا لفكرة أن

[60] نفس المصدر ص 199

مواطنا فلسطينيا يظل متمسكا بماضيه ومتعلقا به كيفما كانت الأحوال ومهما كانت الظروف وأيا كانت العوامل لأن هذه هي العلاقة هي وحدها عما إذا أنت فلسطيني عربي أم تعيش في معاناة الاحتلال الظالم ولا توجد صورة المرأة في سداسية الأيام الستة واضحة لأنها استعملت رمزيا واقتدرت هذه الصورة على إبلاغ الأفكار والخواطر من التفاؤل في حادث الهزيمة في الأماكن وأهلها الذي عاشها وعرضت السداسية عديدا من الصور التي تجربت طريق القسوة والقهر والتغير في حياتها وبما أن المرأة استعملت رمزيا في الرواية أصبح الرجل أكثر قبولا ومعروفا في النضال والمكافحة ضدى القوى الصهيونية وقدمت صورا من الأم والأخت والحبيبة التي تمارس الكفاح متأثرة بروح قوية وأعداء تستكرة الهزيمة ولا تقبل الرسوب والفشل في أي مجال من مجالات الحياة فكانت رمزا واضحا للتحدي في وجه الاحتلال وسدا منيعا في طريق الاستعمار[61].

ثانيا: المرأة وعلاقتها باالبطل المقهور

كل منا يعرف أن المرأة تعشق وتعجب البطل الفاتح المنتصر ولكن من الغرابة والعجوبة نكتشف أن المرأة تعشق البطل المهزوم في زمن الاحتلال الإسرائيلي لأراضي الفلسطينية وذلك بعد نكبة 1948م ويرجع السبب لحبها له إلى هذا البطل المهزوم هو أساس الفتح والانتصار لبناء المستقبل ولكنه مصفد من قبل الاحتلال فيعيش عيشا مقهورا ومهزوما ويحرص على أن يبقى في أرضه في أي صورة كان سواء مصفدا أو مكبلا أو مسجونا لأنه يحب وطنه ويحب ترابه ولا يتحمل مغامرة

[61] فيحاء عبدالهادي نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية ص 96-98

مسقط رأسه إنه يريد أن يتلاشى في تراب ويدفن في أرض انبعث منها نجد علاقة بضع فتيات في هذه الرواية مع عديد من الفتيان تمثل يعاد الفتاة الفلسطينية الضياع وعودة الآمال وتمثل باقية القهر والذل والاضطهاد وتقوم في هذه الرواية رمزية المرأة على الوعي السياسي للقضايا الفلسطينية.

تعرف سعيد إلى يعاد قبل الاحتلال حينما كانت طالبة في الثانوية وعندما عرف أهلها بقصة عزامها بسعيد منعها من الدراسة وضربها ضربا مبرحا واختفت يعاد وقضت حياة ذل ومهانة وتكتب رسالة إلى وتطلب من فيها بأن يرعى أباها الذي هو مسجون في السجن الفلسطيني تحت حماية الاحتلال الصهيوني وتقول لسعيد أنه لا أمل لها في الحياة فإنها تعيش على الحدود ولا تعرف تخطفها المنية وفي أي لحظة تطير روحه وتفارق هذه الدنيا ففي نهاية الرسالة تطلب منه رعاية أهلها ومن في فلسطين. ويقع تحول في القصة حيث يلتقي سعيد بعد اختفاء يعاد بـ "باقية" وهي فتاة جميلة ذات فطانة وذكاة وتوقد فكري لأول مرة تعبر عن حبها لسعيد وتصف حبها له في طريقة رائعة حتى يبدأ سعيد يحبها وتزداد العلاقة بينهما قوية وشدية حتى تصل إلى النهاية المنطقية وتعتز مع على الزواج فبعد تفكر وتعمق إنهما يعقدان الزواج وبعد الزواج يعيشان في حب وعشق بينهما وتنجب باقية لسعيد ولدا يسمى فتحي وهو عمل وحيد في حياتهما وسمي الولد باسم جده ويسميه سعيد باسم آخر "ولاء" ونسبه إلى ولاء الوطن لأن من يوال الوطن يحبه ويكون رمزا للكفاح والنضال ولما يكبر ولا تشتد محبته للوطن ويكون مستعدا لتقديم أي تضحية وإيثار في سبيل تحرير الوطن من براثن الصهيونية وذات مرة إنه يخرج مع أصدقاءه من البيت بدون علم سعيد وذلك عام 1967م وهو يضحي بنفسه في سبيل تحرير الوطن مع صديقيه الآخرين وحينما يتفاجأ الخبر أباه سعيد لا يكاد يتصدق بقبض رجال السلطة السعيد ويبقى

السجن وتبقى معه زوجته باقية وتسلم حياتها إلى الوطن فالمرأة هنا مغرمة بالبطل المهزوم[62].

المرأة والخطيئة

ثالثا: رواية "إخطبة" مشتملة على مآسي وتراجيديا الهجوم الصهيوني الشرس الذي شنتها على الأرض الفلسطينية محاولة منها لطمس علاماتها الإسلامية ومعالمها العربية وظلم سكانها ومنع الحرية وحلولها في المناطق الفلسطينية تبدأ الرواية بالفوضى والاضطراب الإسرائيلي ويحدث هذا الاضطراب بهلعهم وخوفهم حينما رأوا شجاعا عربيا كأنه سيف ماض وحاد ينفذ قلوبهم رجع عبد الكريم الذي قد نفي من فلسطين إلى أمريكا وتزوج هناك مع امرأة أمريكية ولكن غادر عبد الكريم أمريكا لأن زوجته أصرت على أنها تعلم انها "إزرائيل" مكان فلسطين رجع عبد الكريم في البحث عن حبيبته "إخطبة" التي ترمز ماضيه كله كانت إخطبة حلمه وأرضه ودنياه عاشت حياتها في السجن وكان على قدر كبير من الجمال كان الشباب يحلم بها وكان طموحة أبية تكرة الرقة والعبودية حتى لم تكترث بحياتها وتجرعت حياة الذل والمهن في النفي والسجن الإسرائيلي وأصبحت رمزا للكفاح والنضال ضد الصهيونية اختفت إخطبة قبل النكبة ولما ظهرت لم يتعرف الناس عليها.

والحقيقة أن إخطبة في هذه الرواية رمز للأرض الفلسطيني التي عاد لها عبد الكريم ففي الرواية خطاب رمزي وأطلت كلمة إخطبة للأرض الفلسطينية وهذا الرمز

[62] إميل حبيبي سداسية الأيام الستة ص 109

جعل المرأة ذات أبعاد إنسانية عميقة فالأرض الفلسطينية كمعشوق وحبيبة ضحى كثير من الأبطال بحياة وراء هذه الحبيبة[63].

[63] عزت الغزاوي نحورؤية نقدية حديثة ص 75

الباب الثالث

المرأة في روايات سحر خليفة

الفصل الأول: القضايا النسوية والسياسية في روايات سحر خليفة

االفصل الثاني: تعامل المرأة مع المجتمع في روايات سحر خليفة

الفصل الثالث: مساهمة سحر خليفة في نهضة المرأة المعاصرة

الفصل الأول: القضايا النسوية والسياسية في روايات سحر خليفة

شغلت المرأة في الرواية العربية حيز ا كبير ا وتبارى الأدباء والشعراء في رسم صورتها وشخصيتها فأصبحت المرأة محورا من المحاور التي استخدموها، كتعبير عن مختلف تصوراتهم وأفكارهم وهي تشكل منطلقا فكريا يعبرون من خلاله عن همومهم الذاتية، وواقعهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقضايا الإنسانية ، وجاءت صورة المرأة في أ غلب الروايات في صورتين: صورة المرأة المقهورة، أو المرأة شريكة ، وتملك سحر خليفة تجربة كتاب ي ة نسوية مختلفة ، ولامست سحر خليفة الاحتلال الفلسطيني وكتبت عن أمة مقهورة مظلومة وناقشت لخلاصتها وهي كانت حريصة على نقد الذات لا جلدها، بل المحافظة عليها ودفعها للنمؤ والتجدد.

وناقشت سحر قضية المرأة والوطن في رواي اتها وتطرّقت إلى حاجة العمال الفلسطينيين إلى العمل داخل إسرائيل في السبعينيات، وتناولت الروائية في أعمالها الواقع ة من خلال نظر ات نقدية، تجمع بين التجربة الفرديّة ومعاناة الجماعة، وبين الإحباطات المتتالية والحركة النسوية والانتفاضة وأوسلو وضياع القدس ومفارقات الثورة الفلسطينية ، ومنذ دخولها في المشهد الأدبي، انتهجت الروائية سحر خليفة في تجربتها الروائية مسارين، هما مسار الرواية النسوية التي تتجلى في روايات " لم نعد جواري لكم" و "مذكرات امرأة غير واقعية " وأما الثاني فهو مسار الرواية الفلسطينية الـ تي تمثل فـ ي "الصبار" و " الميراث" و" عباد الشمس" و باب الساحة" وهاتين القضيتين ، أي المرأة والوطن، تداخلتا في معظم رواياتها، ك أن المواجهة كانت على جبهتين: مواجهة الاحتلال ومواجهة السلطة البطريركيّة في

مجتمع ذكوري . وعالجت هاتان القضيتان في معظم رواياتها ، انطلاقاً مـــن تحرّر الوطن من الاحتلال، وهذا لا يكون كاملاً ما لم يتـــرافق مع تحرر المرأة من قيود المجتمع ووصاية الرجل.

ولامست سحر خليفة شخصيات نسائية التي استطاعت بحذاقتها وفطانتها ومثابرتها أن تتغير المفاهيم التقليدية السائدة عن المرأة، وفضت تماتما أن تابعة للرجل، لما تتميز بها من قوة إرادة وعناد وصلب، وساهمت سحر خليفة مساهمة كبيرة لتغير المفهموم في ظل الإحتلال وما رأتها من الظلم والقهر والمجازر على نفسها وعلى الفلسطينين، فيجب على جميع أبناء الفلسطينين كافة سواء كان من الرجال أو النساء، فتتقدم الفتاة نفسها كما تقدم الفتى لمحاربة الحقوق الوطنية،

وأثارت سحر خليفة في رواياتها قضية المرأة والوطنية ، وحاربت عن عن حقوق المرأة في الحياة اليومية وفي مجال العلم والتعليم والعمل والعيش بالكرامة والشرف، ورفعت صوتهن بمساواة الرجل في الحقوق من حيث الإنسانية وطالبت بتحررها اقتصاديا عن طريق العمل وحقها في الميرات ، كما عانت المرأة الفلسطينية الكثيرمن الظلم والقهر بسبب الإنتداب وما لاحقه من مأساة، وتعرضت لأقسى حالات القهر النفسية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية، وعلى الرغم من ذلك، استطاعت أن تقوم وتتقدم بثبا ت نفسها، وتحا فظت شرف نفسها وعفتها وكرامتها، متدائما على الصبر والتقشف والعمل الشاق المضني، على السقوط في مستنقع الإثم والرذيلة، وهذا كتبه في معظم رواياته منذ النكبة إلى يوم هذا.

تناولت سحر خليفة المرأة كموضوع لأعمالها الروائية وحددت الزاوية الاجتماعية المتحكمة في تقييم الروائية لدورالمرأة في الانتفاضة ودورالانتفاضة في

توعية المرأة وخدمة مصالحها الكبرى، وكيف هيمنت النظرة الاجتماعية على الطبيعة النفسانية للمرأة وسلوكاتها وسنحاول تجلية هذه القضية من خلال دراسة روايات سحر خليفة .

أريد أن أقدم بعض الأمثلة من من روايات سحر خليفة صورة متعددة ونابغة من ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي قدمتها في روايتها وخاصة في رواية عباد الشمس، ونذكر من بينها:

صورة المرأة العاملة في رواية عباد الشمس:

يرى الباحث أو الدارس إبان دراسة رواية "عباد الشمس" لسحر خليفة ملاح المرأة العاملة وسماتها وأبعادها النفسية والإجتماعية وتطلعاتها المستقبلية، وذلك بعد الخوض في عملية الحياة اليومية بعد أن أستشهد زوجها، وواضطرت الظروف ومصائب الزمان للخروج من البيت ومن عالمها المحصور من الأولاد والعائلة، لكسب المال وملأ الجوع، من غير أن تنتظر حسنات الأجاويد اللسكين، ترقع ثياب الأيتام، وتحور حول البيوت الغنية تنظفها كما كانت تفعل أمها من قبل، ولأنها كانت مشغولة عن بطنها وبطن غيرها وبرقبتها صغاروعيال ونسوان ولقمة اليوم ولقمة بكره.

وتتجلى جليا في رواية عباد الشمس ماضي سعدية التي تربت في عائلة فقيرة ومحتاجة، وفي إحدى القرية الشعبية البائسة في مدينة نابلس بفلسطين، وتجرعت مرارة الفقر والبؤس والحرمان، ووالدها كان بائع طمرية، أما والدتها فهي تخدم في البيوت لتساعد زوجها في تحمل أعباء ألأسرة.

و"سعدية" تتذكر تلك الأيام الماضية المرة وأيام الحوش المظلم المحروم من الفضاء حيث رأت النور" وتذكرت أيام العيد حين كانت تلبس في العيد، فساتين بنات الأكابر، حيث كانت أمها تغسل الملابس، وكيف كانت تخشى المرور بشارع الأكابر خوفا من أن تتبعها ابنتهم، وتقول لها : يا سعدية ، يا شحادة ، أنت لا بسة فستاني، حدث هذا الموقف مرة ، وبكت سعدية حتى انفجرت"[64].

ومر ت الأيام الصعبة وتتزوج من زهدي ، فعاشت حياة كريمة، راضية بقدرها من هذا الدنيا ومع رجل كان سيد الرجال ، وولد منه عيالا كثيرا، ووهي أيضا كانت تلبس شبشبا عالي الكعب، وفستانا مزهرا، وتضع على شفتيها حمرة فاقعة كالشقيق. وكانت الدنيا محصورة داخل جدران بيتها، وأعباء البيت، ومصارف تربية الأطفال وتعليمها كانت محصورة على عاتق زهدي، ولكن حينما غاب زهدي وجدت نفسها أمامها وحيدة فريدة، وواضطرتها الظروف والآم أن تحمل أعباء الأسرة الكبيرة، ومواجهة متطلبات الحياة اليومية بحزم و إرادة وصبر، وتقول: " وخرجت إلى الدنيا الواسعة اكتشف كم هي صعبة حياة الرجال ، وأصعب الصعب أن تحاول إمرأة أن تعيش هذه الحياة. دعك من مشاكل الرزقة التي تسحبها من بين أسنان وحش، فهناك المشاكل الأخرى وهي أمر وأقسى. أمرأة شابة جميلة وأرملة.."[65]

ومهما يكن من المصائب المنزلية اليومية لا تحل إلا بالعمل كما قالت سحر خليفة في رواية عباد الشمس العمل هو الحل الوحيد وفيه الرزق وفيه النسيان وفيه الفرج.

---

[64] عباد الشمس ص . 124.

[65] نفس المصدر ص 42.

ورأت سعدية في شخصيتها التطور التدريجي، بعد أن انغمس حياتها بالعمل بالخياطة في منزلتها وحيدة، ثم ما لبثت أن تتطور عملها وبدأت تتسع يوما بعد يوم، بفضل كدها وجهدها المتواصل، تتحسن أحوالها المالية والمعيشية، وينعكس كل هذا على شخصيتها وجمالها.

يصف عادل عنها حينما رأى ملامح هذا التغير: " كانت تلبس تنورة سوداء وبلوزة بيضاء بأكمام طويلة، وكانت قد هزلت كثيرا واختفت النتوؤات من جسمها واستبدلت بانحناءات انسابية لطيفة ، واختفى الشعر الطويل وحلت بدلا منه قصة مستديرة أعطتها مظهرا أكثر حيوية وشبابا"[66].

وحينما بادر عادل للتحية:

عالعافية أبو الشباب.

" وكان في صوتها صلابة توحي بثقة كبيرة بالنفس رقصت لها نفس عادل إعجابا وإحتراما. فها هي امرأة قوية باستطاعتها أن تتحدى ظرفها و ظروف البيئة، وتقف على قدمين ثابتتين و لا تهتز، هب مكانه فاردا كفه وصافحها بحرارة"[67].

وكان فيها الإصرار والإرادة القوية الصلبة التي ساعدت على التغلب في أوضاع سيئة، وبدأت تحكي قصة مرارة مع الحياة ومعاناتها التي واجهتها بعد استشهاد زرجها، وقالت نسيت المرحوم اللي كان أعز من الأخ؟ ونسيت أنه كان لأخوك مرة وولاد ، فاعتذر عادل وأفهمها حقيقة وضعه، ولكن تنكر كل شئ، لأنها

[66] نفس المصدر ص 30.
[67] نفس المصدر ص 31.

تعلمت كثيرا من دروس الحياة بعد غياب زوجها، وتطلعت في عينه وقد تندت عيناها واحمرت جبهتها وهزت رأسها بمرارة:

-أيش نلت من هذا البلد؟

وقالت: " في ساعة الجاحة والغفلة ما ينفعك غير قرشك"[68]

فعاشت "سعدية" بعد وفاة زوجها " زهدي" عيشة بأئسة ومسكينة، وفي حالة سيئة، فعلمت معنى الحياة الإنسانية، وآمنت أن الإنسان لا يعتمد الإ على نفسه، ونمت في قلبها بعض الطوحات الكبيرة، وظلت تقدم مصالحها الشخصية على ما عداها، وهذا ما يستكشف بحوارها مع نوار، وهي تسعى اقناعها بالتخلي بوعدها لصالح بالانتظار، مستنكرة ومستغربة موقفها.

لقد قدمت الكاتبة سحر خليفة في هذا النموذج لسعدية بعض بعض السمات الذي تميز صورة شخصية المرأة العاملة في المجتمع، والتي تنحدر من بيئة فقيرة، وتنشأ تحت وطأة الجهل والفقر ، وما يمكن أن تتعرض له من مضايقات وافتراءات في ظل مجتمع متخلف ومظلوم ومقهور،

وهي مازالت قليلة الحيلة والتجربة، غير مسلّحة بالعلم والوعي الكافيين. فقد تضطرها ظروف العمل للاحتكاك بالجنس الآخر، كما اضطرت سعدية للسفر ، فواجهت سهام النقد والتقريع ، ونالت معارضة عنيفة لخروجها عن الأطر التي خططها المجتمع لها، فيعتبر خروجها تحديا وخرقا لقيمه ومعاييره، وطبعا كل هذا واجهته سعدية من نساء الحارة ورجالها.

[68] نفس المصدر ص 32.

وفي ما يثبت أن جل العناصر استلابا وقهرا في المجتمع الدنية، هي أكثرها عنفا وعدوانية، من حاول التخرج من التقاليد السائدة، ولتحدي المعايير وخرقها، فهناك عذاب نفسية لكل من يريد أن يخرج على التقاليد، ولها فضحية كلامية تلاحقها، وكل هذا ذاقته سعدية بالحقيقة من بعض المرأة الجاهلات في الحارة كـــأم صابر وأم تحسين وأم فتحي، وما إلى ذلك من النساء، مما أحبر لمغادرة الحارة، وفضل الخروج من الحارة بدلا من المواجهة.

وعلى الرغم من الاضطراب النفسي، أو الخلل الذي يشوب بعض مواقف سعدية من الرجل والحارة، وقد تقدمت الكاتبة الكثير من التغيرات الايجابية التي برزت على شخصيتها، وعلى المستوى المعيشية، بفضل سلكها في العمل، وجهودها للحرية بقدر كثير من الشعور بالمسؤلية، ومع هذا رمت أسيرة الواقع الاجتماعي المتخلف، وهذا ما يثبت تساؤل عادل وهو يتفكرها بإعجاب مشوب بالحسرة والحذر ، " الجمال البلدي الأصيل، وما زالت في عز الشباب، وقد تعلمت المرأة الكثير، كيف تعمل، وكيف تلبس، وكيف تخاطب الرجال دون أن تحمر أو تتلعثم، خامة ممتازة، مادة قابلة للتشكيل، ولكن الوعى؟ لا وعى إلا بصيص متمرد ، وهذا شحادة يقف بالمرصاد، وستعود.. إلى قواعد الحريم غير سالمة. شحادة والسلامة لا يجتمعان.

وواجهت سعدية كل ذلك بقوة وحزم إغراءات شحادة، وسعى مرة لدفع الكلفة بينه وبينها، وواعتبرت نفسه مسؤلا عنها، حين رحل معا إلى تل أبيب لتسليم اللضاعة، وأخذ الأجر، فوقفت منه موقف الند، وواجهته بجزم وثقة على النفس، " من إيمتي تناديني سعدية حاف يا شحادة...؟ أولا أنا "أم حمادة" ومش سعدية ، وثانيا:

أنا مش حرمة ، أما مثلي مثلك، أنت صاحب مصلحة. وثالثا ما حدا مسؤل عني غير الله ونفسي مفهوم؟!"[69]

وقد تنكر بالزواج وبالرغم من حاجتها الشديدة لرجل يحميها كل حين وآن، ويلجم ألسنة الرجل، ويرد عنها نظراتهم، وأطماعهم فيها وتررد في سرها. " يابادلة النخلة بسخلة"[70].

وظلت تفكر من الخروج بالقرية، والابتعاد عن رجالها ومجتمعها، وعن هموم البلد وشجونه، وشقاوة شعبه، وتزداد الأمل بعد شراء قطعة أرض بـ "جبل الشمس" في نابلس في فلسطين ، وبدات تحلم ببناء بيت فيها، وزراعة ما بقي منها من الأرض، بالخضار والزهزر، فحينئذ تمكن أن تتخلص من العيون التي تحملق، واللسانات التي تشتم، وتنسج حولها القصص الزائفة. " سعدية وشحادة سعدية والماكينية سعدية وتل أبيب سعدية تنام في تل أبيب ولا تسأل حتى عن أبنائها ، سعدية في حمام البلد سعدية وخضرة.

وتسعى سعدية إقناع ابنها رشاد الشاب المتحمس الذي يرفض ترك الحارة، وتقول له: "هون الأرض واسعة، وشجر وعصافير، وبكرة تصطاد العصافير بمقلعيتك بدل الجنود، وما يحاسبنا حدا، لا مظاهرات، ولا نقف رؤس، ولاتعالي يا سعدية ادفعي الغرامة بالتي هي أحسن، هون لا منع تجول، ولا حبس ولا مشاكل، هون أحسن"[71].

وفي ذلك ما يوضح ثقة سعدية على نفسها وأمانيها، وإيثارها للأمن والسلامة، وهي أنها تعتقد أفضل وسيلة للنجاة من جميع المصائب والالآم التي تؤرقها وتنغض

---

[69] عباد الشمس ص 73

[70] عباد الشمس ص 34.

[71] عباد الشمس ص 288.

عيشها، بعد أن فنى العمر والشباب في العرق والكدح، ووخز الإبر، وسهر في الليل... ولكنها لا تتبين عقم موقفها الانهزامي الذي تجئ من واقع الإحتلال و أهل الوطن، إلا بعد مصادرة الصهاينة التي قضت شبابها حتى اشترتها، فتنهار أحلامها في ما بين الأحداث التي تعصف بالبلد، في السبعينات من القرن العشرين، فترجع إلى نفسها السمحة الطيبة، وإلى ناسها وحارتها، وهي من معالمها الهامة، ولا يمكن أن تتركها، كما توقع باسل الكرمي.

قد علمت سعدية يعد نيلها الصدمة، وشعورها بالمرارة والخيبة، وأن الاحتلال لن يسمح لها انجاز ما تصبوا إليه من هياة هانئة ومستقرة، وإن اعرضت عن مواجهته والتزمت الحذر، وفضلت السلامة، وثارت على هذا الواقع، والله حاسة راسي نافورة نار، ودمي حامي ولا الكبريت. والله .... لوبإيدي قنبلة لأنسف العالم.

ويتضح أمامه الخيار الوحيد، وهو المصدامة الحقيقة، والحروب لتغيير الظروف الراهنة، وبذلك انتقلت سعدية من الموقع السلبي إلى الموقع الإيجابي، بالتجربة التي تمكن أن تخلق الوعي بصورة أسرع، لدى الناس التي تنتمي إليها، ولاسيما وأنها فقدت حلمها البرجوازي، ولم نزل تخاف على شئ آخر ، كله رايح يارملتي كله رايح، الجوز والابن والأرض والشغل والسمعة في ما بين الجمهور.

وكذلك تنكر جميع المظاهر الانهزامية، والتأقلم السلبي مع الاحتلال، والاستسلام لما ينجزه الفرد على مستوى المادي والمعنوي، من امتيازات ومكاسب، وسط هذه الظروف الصعبة التي لا تسمح للإنسان، مهما يكن يريد أن يحقق وجوده، أو بعض ما يطمح إليه، ومرت سعدية في حياتها بتجربتين حارتين موثرتين.

1 - فقد الزوج ثم الانخراط في العمل لكسب المال.

2 - فقد الأرض التي حلمت بها كثيرا.

وهاتان تجرباتان قد حررتاها من عزلتها وأحلامها البرجوازية ، وجعلتا تتحول من السلب إلى الإيجاب، وكان موقفها الأخير من قوات الاحتلال، وثمرة الاحتكاك مع الواقع اليومي والتفاعل معه، وبرو معدنها الأصيل بعد أن عركتها الأيام بنابها، وصهرتها الآلام، وظهرت قوة الإرادة التي تتحلى بها، من خلال بعض مواقفها وخاصة موقفها الأخير.

صورة المرأة المثقفة :

وتعتبر صورة المرأة المثقفة من أكثر النماذج اجتذابا للكاتب الفلسطيني، وقدرته على تقدم أفكاره وتجسيد الكثير من مواقفه وآرائه، فالكاتبة النسائية التي تقدم بهذا النموذج تبدو أكثر قدرة على قيادة أمورها، والتأثير في محيطها، ولنيل ثقة الآخرين، واحترامهم لها، وذلك كلها بشخصياتها المتوازنة، وما تسهم به من أراء و أفكار، وتساير حركة الواقع، ولا تتعارض مع المثل الإخلاقية وبالقيم الاجتماعية ، ومعظم عملها ما يكون على اتصال مباشر بالجماهير الشعبية ، كأن تعمل أستاذة أو صحفية أو في أحد مجالات الخدمة العامة.

ولعل أبرز الروائيات النسوية التي تمثل صورة نموذج المرأة المثقفة الواعية ، التي قرأت في مجمل الروايات، هي شخصية رفيف في رواية عباد الشمس.

صورة رفيف في رواية عباد الشمس :

تظهر شخصية " رفيف " من بداية الرواية، وبحضورها الكثيف المميز، وبشخصيتها المليئة بالنشاط والحيوية، بكونها صحفية، وتسعى لتحقيق ذاتها، والغلب على قضيتها، وتأكيد هويتها، على الرغم من العقبات الصعبة التي تواجهتها، وتعترض طريقها، وحضورها الروائي تبرز بحضور " عادل الكرمي " صديقها الصميم، وأحبته بعاطفة صادقة، ولكنه لم يستطيع أن يبادلها مشاعر الحب معها، وأضنته تجارب الحياة الصعبة التي عاشها خلال نكسة حزيران عام 1967م، وقد كان مثقلا بمسؤلية الأسرة الكبيرة التي يعيلها، وبقصية هموم الوطن، وحركة التاريخ والثورة، بذلك فضل أن يعيش حياته بحرية، مكتتفيا بهذا القدر من المسؤليات والأعباء التي تقع على عاتقه وترهقه، وتظهر شخصيتا رفيف وعادل الكرمى ثنائية غير متوافقة، وفي معظم الأحيان، وهما يعبران عن وجهتي نظر تختلف تجاه بعض قضايا المجتمع، وخاصة قضية المرأة، وبذلك تكشف الرواية حياة ازدواجية بعض المثقفين العرب، كـــعادل الكرمي وغيره من أعضاء هيئة التحرير في المجلة في نابلس، وما زالت تسيطر عليهم بعض الرواسب الاجتماعية السلبية التي تعيش في رأس الرجل المقهور، ويتضح كل هذا في التعارض القائم بين الفعل والقول، وبين النظرية والتطبيق، بين الفكر الذي تطرحه الرواية، والتجربة المباشرة الحارة التي يعيشها مجتمع الرواية، ويمثل شعب الضفة الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي ، وكانت رفيف فتاة شابة في الثلاثين، تنحدر من أسرة تقليدية قديمة، وتنتمي إلى الطبقة المتوسطة، تجدها متحررة من قيود الأهل ورقابتهم ونواهيم إلى حد ما، بسيطة المظهر، عاشقة للحياة والحرية، دالة إلى المعرفة، وتطوير ثقافتها، والدفاع عن قضيتها وقصية المرأة وإثبات وجودها الشخصي، ملامح وجهها تشي بجديتها، وحدة طبعها، وقوة شخصيتها، وتؤكد ثقتها بنفسها، وتملك رفيف بعض ما تزخر به الرواية من أفكار

هامة ومفاهيم كثيرة متنوعة، وترتبط بالفكر والتاريخ والحب والحرية والاجتماع والسياسة وفلسفة الثورة، وما إلى ذلك من الأفكار والقضايا التي تشغل فكر المثقف العربي، وخاصة المرأة المثقفة الطامحة لإثبات وجودها، وتحقيق هويتها في ظل المجتمع التقليدي، الذي يعاني من الاستعمار والقهر الاجتماعي والفكري والاقتصادي. وتتبنى رفيف الكثير من الأفكار التقدمية التي تدور حول قضية المرأة العربية، والفلسطينة خاصة، وتظن أنه لا يمكن تحرير الشعب والوطن، مالم تحرر المرأة الفلسطينية من القيود التي تكبلها وتحد من تقدمها، وقضية المرأة جزء لا يتجزى عن قضية الوطن والسياسة، وكل هذا يتضح عبر تداعياتها وحوارتها بأسرة المجلة، وخاصة حينما تعد عدتها للدفاع، عن مشروعها داعية إلى تخصيص نصف المجلة لشؤن المرأة، وتبين زيف الموقف الذي يتخذه عادل والمجتمع، وممن يدعون إلى التحرر والمساواة بين المرأة والرجل، فهم يخدعون أنفسهم قبل أن يخدعوا الآخرين، ولأنهم يطبقون على نفس الآخرين مالا يطبقونه على أنفسهم.

وتطرح رفيف قضايا هامة للمرأة وقضية الإنسان المقموع، الذي يعيش حالة من اليأس والقلق والتناقض والتشتت، وبين قيم قديمة سائدة و ثابتة وقيم جديدة واردة،

وقدمت الروائية صورة رفيف في روايتها عباد الشمس لتجسد من خلالها مثال االمرأة المثقفة الواعية التي تسعى لتثبيت وجودها في المجتمع الذي مازالت تسيطر عليه تقاليد الماضي، ويعاني أبناءه عدة أنواع من القهر والظلم إذا تتبعنا لحظات ضعفها كما تتبعنا لحظات نضجها، فأتاحت لنا الكاتبة التغلغل إلى أعماق المرأة، لنرى رقة عواطفها التي تتجاوز ذاتها لتصل إلى هموم الآخرين، تتعاطف معهم

بدموعها حين تعجزها الوسائل... فقد تكون الدموع دليلاً على ضعف المرأة، ولكنها أصبحت رمزاً لحساسية المرأة، وانفعالها بالقضايا الوطنية التي هي في أعماقها قضايا إنسانية. ولكن ما يؤخذ على الكاتبة أنها قدمت لنا شخصية شابة بمعزل عن مجتمعها ، فكأنها منسلخة عن بيئتها، تتحرك في بيئة غريبة، إذ تسهر إلى وقت متأخر، تسافر... تترك العمل متى تشاء، تعود إليه متى أرادت دون أن نسمع وجهة نظر الأهل في ذلك كله، وهذا يعني أننا لا نسمع صوت الجيل التقليدي المعارض لقضية المرأة.

وفي الأخير رفيف وأقرانها تبقى كما صورتها الكاتبة ذات النهاية المفتوحة، نضالا يواكب ركب النضال والدرب طويل، للوصول إلى ما تصبو إليه المرأة المثقفة الواعية، من إزالة كل القيود التي تقف أمام تحررها، وتحقيق ذاتها، وتأكيد هويتها، وترسيخ وجودها الفاعل في حركة الواقع ، لقد حملت رفيف بذور الرفض والثورة فكرياً. وحاولت تجسيدها عملياً، ولكنها لم ترق إلى مستوى المرأة الثورية، في تجسيدها لتلك الأفكار والمفاهيم والقيم الإيجابية التي نادت بها.

الفصل الثاني: تعامل المرأة مع المجتمع في روايات سحر خليفة

سحر خليفة من إحدى الروائيات العربيات الحديثة التي كتبن رواية نسائية تحررية وقدمتها بأسلوب جديد وناقشتها عن علاقة المرأة بالمجتمع بكل صراحة وشفافية، وظهرت أعمالها الروائي مباشرة فى أفق الأدب العربي كروائية بعد أن صدرت روايتها "لم نعد جواري لكم" واعتنت سحرخليفة في رواياته بتصوير علاقة المرآة بين إرادة التحرر وسلبية التفاعل مع الرجال، وإبراز المكانة المتميزة التي تحتلها المرأة في المجتمع، في الوقت الذي لم تتوجه أكثر الروائيات العربية بتقديم صورة العلاقة بين المرأة والرجل والمجتمع، بوصفه يشكل إحدى العقبات الأساسية في طريق تحرير المرأة وتطورها اجتماعياً وفكرياً وسياسياً وعملياً، ولذا كان حضوره باهتاً في أغلب الروايات التي شملها البحث .

وهناك أنواغ كثيرة لعلاقة المرأة مع الرجل كعلاقة المرأة بالرجل داخل الأسرة، وفيها تجد علاقة الزوجة مع الزوج وعلاقة الأم مع أولادهاوعلاقة ابنة مع أبيها، وعلاقة بين الأخوات والأخوة، يلاحظ الدارس في رواية سحر خليفة أن الروائي الفلسطيني اهتمت بالمرأة اهتما ما بالغا وأثارت قضيتها في رواياتها ، ونجد أيضا علاقة المرأة مع الرجل خارج الأسرة وفيها توجد علاقة زائفة كما نرى في الحياة اليومية ما بين الناس، وإن امرأة تحب الرجل فقط لطلب المال والثروة، وبالعكس هناك علاقة عاطفة صادقة التي قدمتها سحر خليفة في روايتها المشهورة في عباد الشمس.

علاقة الأب مع بنته:

ورواية "مذكرات امرأة غير واقعية" للروائية سحر خليفة ، وهي من إحدى الكاتبات الفلسطينية التي ساهمت في الأدب بهذا النموذج من الآباء ، ومن أكبر الكاتبات التي اهتمت بصورة قضية المرأة العربية التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية، وما يؤرقها ويقض مضجعها منذ الصبية إلى ما بعد الزواج ، ويظهر جليا قضية الذكورة والأنوثة بشكل كبير في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" وتبين اضطهاد المرآة وسلب حريتها وعملها وسلب ميراثها وتزويجها من رجل لا تحبه.....الخ وترصد سحر خليفة علاقة البنت بوالديها منذ الصبية في مجتمع الطبقة البرجوازية، فتصور موقف الوالد من الصداقة القائمة بين طفلته وابن الجيران

فألاب لم يقبل هذه الصداقة، وفي انكاره يعبر عن عادات قديمة متوارثة، وقيم أخلاقية واجتماعية متعارف عليها، مؤسسة على التمييز الفارق بين المرأة والرجل، كما نجدها في روايتي "الصبار" و "عباد الشمس" لسحر خليفة.

تسخر منها على لسان أحد أبنائها، وهو "عادل الكرمي "الذي يميط اللثام عن عيونها، ويوضح مواقفها الجوفاءء، وي فسرتناقضاتها وزيفها، وتداعياتها من الداخل حين يتحدث عن والده الوجيه، الذي يصر على تزويج ابنته نوار من الدكتور عزت الذ ي يملك ثروة كثيرة ، ويقف الزبائن أمام عيادته كالذباب ، وهو يفضله على ابن أخته أسامة الشاب الثوري طريد العدالة والمخابرات الإسرائيلية، كما يصفه، من غير أن يأخذ في الحسبان رأي ابنته، ومن تريد .

صورة العلاقة بين الإخوة والأخوات:

ومع مضي الوقت وتطور العمر وتفتح الوعي الفكري، تأخذ العلاقة الأخوية أكثر ديمقراطيا وتحررا ، وفي رواية الصبار وعباد الشمس تطرح الروائية سحر خليفة المستجدات الطارئة على البنية الاجتماعية والاقتصادية في الضفة الغربية بفلسطين، وما واكب من تطور في بعض المفاهيم الاجتماعية والمواقف الفكرية السياسية للجيل الجديد، الذي ملك وعيه في ظل القهر الإسرائيلي ، والذي أصاب النظام الاجتماعي الفلسطيني التقليدي بهزة عنيفة، وإن لم تكن مدركة تماما، وأفضل مثال لذلك ما ألت إليه الطبقة البرجوازية، سليلة الإقطاع، من تهتك وانهيار وجمود وعزلة، متمثلة بأبي عادل الكرمي الذي يعيش بفضل " الكلية الصناعية" ويحيا على أمجاد الماضي.
ويقول عادل الكرمي عن دارالعائلة " [72] هذه الدار الهرمة لا تنتج إلا المريض والجبن" وتقول بدارها بأنها "لا تجاري روح العصر".

هذا التدرج للمفاهيم الاجتماعية في الأرض المحتلة، يظهر بصورة جلية حين يسعى "أبوعادل" ممارسة قوته ليفرج الزواج على ابنته نوار بالدكتور عزت، ويتصدى له عادل وباسل، ويومان إلى جانب أحتهما، مؤيدين موقفها، ويقول عادل لأبيه: " دع الفتاة تدافع عن حقها في الحياة دعها تتعلم كيف تجابه الأمور بحزم" [73] فيقول بإحترامه أخته وعلى رأيها واختيارها: "أرجوك أن تدافع الفتاة عن كرامتها، وإذا لم تفعل فهي لا تستحق الكرامة، ولتدخل عالم الحريم غير مأسوف عليها" [74]. ويقوم باسل

---

[72] الصبار ص 207.
[73] الصبار ص 207.
[74] نفس المصدر ص 208.

الفتى الثوري الذي عرف بطريقه، ووالتحق بصفوف المقاومة داخل الأرض المحتلة ، بأكثر جرأة ثورية، حين يهنئ العلاقة العاطفية الودية القائمة بين أخته نوار وصالح. فتقول لها: "أتظنيين أني لا أعرف قصتكما، الجميع يعرفون، فكيف لا أعرف أنا؟ ولا تنسى بأنه لا أسرار في مدينتنا.. طأطأت ولم تعلق.. قال مشجعا: صالح رجل لا كأي رجل، وهو جدير بكل التضحيات، ولكن هل ستواظبي على الكتابة إليه، وزيارته بالرغم من كل الاحتمالات" [75]، هو يأخذ كل شئ كأنسان وع ي مثقف، وصورة العلاقة التي تربط نوار وصالح يهنئها برحابة صدر، ويشجعها على مصارحة والدها، والتجمد برأيها والدفاع عن اختيارها مهما كانت الأوضاع أعلن الحقيقة أمام والده بكل جرأة وقوة. "وفجأة بدون مقدمات سمع نفسه يقول بصوت تقريري كمن يقرأ نشرة أخبار: نوار الكرمي تحب صالح الصفدي. لكنها لا تعترف بهذا. وقد وعدته بانتظاره طوال مدة سجنه، هذا إذا استمر الاحتلال، أما إذا لم يستمر فستتزوجه بالرغم من كل واحد فيكم، وبالرغم من والدها قبل الجميع.. نوار الكرمي تحب صالح الصفدي ولا ترغب في الزواج من أي رجل آخر، ولكنها جبانة، أجبن من أن تواجه الآخرين بذلك.. وواصل.. بنفس اللهجة التقريرية: نوار الكرمي تحب صالح الصفدي وتكتب له الرسائل.. وتزوره في السجن.. ولن تتزوج من أي رجل سواه.. ولا أعرف كيف يحب أي مناضل فتاة مائعة كنوار الكرمي. وصاحت نوار وهي تهب واقفة: بلى سأتزوج منه. أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة"[76].

---

[75] المصدر السابق 200.

[76] الصبار ص 214 – 216.

صورة علاقة المرأة بين الرجل خارج الأسرة:

ولم يقيد الروائيين الفلسطين نفسها في تقديم صورة العلاقة بين المرأة والرجل داخل الأسرة فقط، بل قدم جهودهم بتقديم هذه الصورة خارج الأسرة يد بيد، وخصصوا لها أنواعها وتتبعوا قيمها ومستوياتها، معبرين عن أرائهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والفنية وما إلى ذلك ، ويمكن للدارس والباحث ان يتطور صورة علاقات وصلات في هذا الجانب، يميز من نوع العلاقة، هناك صورة علاقة عاطفية وودية صادقة، ويتجلى معظمها في صفوف المناضلين والمثقفين الثوريين، وممن ينتسبون إلى الطبقة الكادحة، وهناك صورة علاقة زائفة و كاذبة.

صورة علاقة ودية صادقة:

ولكي ينجز الروائي الفلسطيني التوازن والتناسب ما بين الحياة العادية للإنسان، بما تشمل فيها من آمال والآم وتطلعات من جهة واحدة، والمأسي والحزن التي يخلفها الصراع مع عدو الذي ارتكب القتل والمجازر منذ عشرات السنين من جهة أخرى، فلجأ إلى الإعلان من شأن الحب، والعواطف النبيلة الحسنة، بالقدر الذي يحمي شعب الفلسطيني من السقوط في حمأة اليأس والقنوط والبطالة، ويشحذ عزيمته ويدفه إلى الصمود والتحدي والمواجهة، والتشتت بالأرض تحت أعتى الظروف، وأشدها قهرا وجبروتا.

ونرى في رواية عباد الشمس لسحر خليفة علاقة عاطفية وودية من جانب واحد، وتقدم الروائية تلك العلاقة إبان مناقشتها قضية المرأة، وكل ما يلحق بهذه القضية من مصائب اجتماعية وفكرية ونفسية، وتقدم علاقة عاطفية من جانب واحد بين "رفيف" و" عادل".

وكانت رفيف شابة من فلسطين، وتبلغ في الثلاثين من العمر، وهي تعمل في مجلة البلد في الضفة الغربية في فلسطين، فدخلت حب صديقها "عادل الكرمي" الذي كان يعمل في المجلة، وكان ابن الإقطاعي الوجيه، وشابا نضجا مثقفا، منسلخ من طبقته المهترئة، بسبب ظروفه الحياتية اليومية الصعبة، والمسؤوليات الكثيرة الملقاة على عاتقه، وكان ذوفكري يساري، وأعجب كثيرا برفيف، ولكن حبه بها لا يصل إلى الزواج أو الفكرة عن الزواج منها، ويحس بالرغبة فيها، ولكنه يراها " فتاة عربية، تريد الحب، وهذا مالا يقدرعليه" [77].

وتزداد يوما بعد يوم مشاعر الرغبة لديه، وبدأ يحس أنها قريبة جدا " وأن العالم دافئ، له طعم النبيذ، وأراد أن يحتويها، وأن يقول لها أشياء حميمة، وأن يقبلها، وينام معها على الحشيس ، وأن يستمر معها في الطيش والجنون والنسيان. لكن الواقع أزمة" [78].

وبقيت هذه الرغبان أسيرة المتنى عنده، وما يريد خداعها، أو التغزير بها، و رفيف أيضا لا تريد أن يسعى وراء اللذة والشهوة الجسمية، وإتمام رغبات الجسد، بل تريد لتأسيس علاقة منكافئة مع من تحب، وتحافظ بذلك على إنسانيتها وشرافتها

---

[77] نفس المصدر ص 19.

[78] نفس المصدر ص 20.

وكرامتها وصدقها وعفويتها، علاقة صادقة تمنحها الحب الحقيقي، وتمهد لها الطريق للزواج، وتأسيس الأسرة وتحقيق الاستقرار.

وتظهر رفيف مشاعر الخيبة والألم ، بعد تجربتها الكرهية والعقيمة مع عادل ، " أكره تجربتي معك... لأنك كرهتني بنفسي، أفقدتني اجترامي لها، جعات مني واحدة من المعذبات الساذجات... مذ رأيتك ، وقلبي في وجع دائم ، واذا حصلت من كل هذا؟ لا الشهوة ولا المتعة ولا ضبط النفس، وتحقيق نظام يساعدني على الإنتاج أكثر، ولا الحصول على المزيد من الإستنارة والارتقاء.

الفصل الثالث: مساهمة سحر خليفة في نهضة المرأة المعاصرة

إن الحديث عن المرأة وقضاياها يعتبر أحد أهم أسئلة المتن الحكائي للرواية النسائية لأن المرأة كانت وما زالت بمثابة أيقونة لا يمكن الاستغناء عنها في كتابة الرواية العربية حيث تناولت الروائيات موضوع المرأة في أبعادها المختلفة النصية والفكرية والاجتماعية والثقافية بطرق فنية فكشفن اضطهادهن الممتد من القديم، كما أسدلن الستار عن الهواجس التي تؤرقهن لتطرحن أهم انشغالاتهن المتعلقة والتي تمثلت في صورة المرأة المسترجلة والرجل الهامش الذي يمارس عليه نوع من العنف الجسدي والمعنوي بدأت المرأة العربية تنهض وتمارس حقوقها في أواخر نصف القرن التاسع عشر، و لمعت أسماء نسوية رائدة التي دعت إلى تعليم المرأة وتثقيفها والمطالبة بالحقوق و بالحرية والخروج إلى العمل وتولى الوظائف العامة والخاصة في مجالات مختلفة، والمشاركة الفعالة في السياسة وقضايا الوطنية وقد ساهم النقد النسوي والكتابة الروائية مساهمة كبيرة في التمهيد لنشوء نظرية الحرية نظرية متميزة في الكتابة والرواية التي تختلف عن الذكورية، وأصبحت سحر خليفة رائدة في هذا المجال التي كتبت" الصبار "، و " لم نعد جواري لكم" و" الميراث" و " مذكرات امرأة غير واقعية" و"عباد الشمس" لم تبتعد في أي من أعمالها الروائية في الكتابة عن قضية المرأة والوطن في مواءمة حقيقية ومتفاعلة، تثبت من خلالها أن الطريق الوحيد لتحرير الوطن هو تحرير كيان المرأة، المحكوم ببروتوكولات وهمية وكاذبة، تعيقها من أن تكون كائنًا مستقلاً له خصوصية التجربة والكينونة ، وبهذا الشأن تعبر" سحر خليفة" بقولها" أنا كأديبة فلسطينية يشغلني الإنسان الفلسطيني في

علاقته مع ذاته، ومع المجتمع، ومع السلطة، وأدب المرأة عمومًا اكتسبإضافة مهمة، حيث لم يقتصر على صراع الأنثى مع المجتمع، بل أيضًا مع المحتل ، من هنا يمكن القول إن المناخ السياسي والقضية الوطنية أسهما في إكساب الرواية الفلسطينية خصوصية لا تتوافر لمناطق أخرى في عالمنا العربي وفي رواية صورة وأيقونة وعهد قديم تحضر هذه الثنائية م ن البداية في الرواية، فتواجهنا الكاتبة بالمرأة والوطن معًا في توحد يصل إلى حد التمازج قائلة عبر لسان البطل "إبراهيم" مريم "كانت أجمل ذكرى، أغلى تاريخ، أحلى صورة، كانت في الغربة تحضرني فأحس بروحي تسحبني لأجواء القدس ، وكنت أنا مثل الدوري لي أجنحة وعيون من ذهب ومرايا تكتشف العالم من حولي ومرايا القدس إلى القدس الآن قدس أخرى، قدس التاريخ !. وتركز سحر خليفة على المرأة في أعمالها بشتى وظائفها وأوضاعها الاجتماعية ، وتتخذها بطلا أو قناة أساسية لتصحيح الأغلاط الاجتماعية كالاقصاء والتهميش لنزهة في باب الساحة أو الاستكانة والخمول الثاويين في عمق المرأة من جراء القهر الموروث والحرمان ، كما تدل على ذلك شخصية سعدية في رواية الصبار ، أو معاناة المرأة المثقفة داخل الأوساط الثقافية كما في رواية لم نعد جواري لكم، أو معاناة المرأة ومصادرة حقها في الاختيار كما في رواية مذكرات امرأة غير واقعي ة... ان امرأة سحر خليفة شخصية روائية ضمن مكونات الخطاب الروائي، وأداة للإصلاح والتقويم ووسيلة لانتقاد العيوب المتفشية في المجتمع وامكانية اجرائية لفضح المسكوت عنه في حركية النضال ومفهومه المستعمل والشائع ، عموما تختزل سحر خليفة الوطن، الطريق الى الوطن، في المرأة ، واذا كانت القضايا الوطنية والقومية والأبعاد الوطنية والقومية للمرأة في الرواية العربية مرتبطة بالتحرر من آسار التبعية بمختلف تفرعاتها الفكرية أوالسياسية أوالاقتصادية ، فإن القضايا والأبعاد

الاجتماعية للمرأة في الرواية العربية مرتبطة أساسا بتلك الآراء والأفكار والنظريات التي يولدها المجتمع ، وهي كذلك تلك الخطابات التي تحيط بكيان المرأة فتحيله خلقا جديدا، أي أنها تشوهه في صورته الحقيقية وفي بعض الأعمال تظهر لنا حقيقة تصورات الرجل للمرأة واحتجاجات المرأة على ذلك بأصوات مختلفة ومجروحة ، لذلك نقثل المرأة في الرواية العربية المعاصرة عربية منه، وذلك انطلقا محورا هاما ، وتكاد لا تخلو رواية من معطيات اجتماعية وأخلقية ودينية وسياسمية، فمالمرأة كمما ينمادي التقدميون تبقى نصف المجتمع، لذلك فإن أي رواية عربية تخلو من محور المرأة وما تلعبه من دور كبير في الحياة النسانية تعتبر رواية مستهجن ة، وتعتبر سحر خليفة من إحدى الروائيات العربيات اللائي عرفت أعمالهن في كل البلاد ا لعربية، بسبب الجدية الشديدة التي تميزت بها رواياتها، والتزامها بقضايا الواقع الفلسطيني، وخاصة القضايا الاجتماعية، التي نالت منها أكبر اهتمام، وساهمت مساهمة كبيرة في نهوض المرأة العربية خلال الكتابات، وأثارت قضية النساء بشدة، وهي في حالة هجوم دائم على الرجل، تحاول بطلاتها دوما انتزاع حريتهن منه، مع القضاء على عنفوانه، وربما كان للإحساس بقوة الفتاة الفلسطينية ومشاركتها الدائمة في أعمال المقاومة اليومية، أبرز الثر على ذلك التوجه في أعمال سحر خليفة.[79]

[79] سحر خليفة: مذكرات إمراة غيرواقعية ص 33.

خاتمة البحث

سجلت المرأة هويتها في صناعة وبناء التاريخ في مراحل مختلفة من الحياة بمساهماتها القيمة حيث نجد قائمة طويلة من الأسماء التي تمثل شجاعة وجرأة وبسالة وتضحية ومثابرة وكفاحا ومناضلة في مجال محو الأمية والجهل وبقيت المرأة وفية بكل ما ساهمت فيه من النضال والكفاح وحب الوطن والقضايا الأخرى،وعالجت عديدا من القضايا النسوية والاجتمائية والاقتصادية ومشاكل الأسرة والعائلة.

وترى المرأة أن قضاياها لا تستوحى من عمل روائي واحد فقط وإنما من بضع أعمال أدبية وروائية، وإن المرأة مرتبطة بالوقائع التي نعيشها والقضايا التي نواجهها في يومياتنا، وكذلك نعتبر أن الصورة العامة للجنس النسوي هي صورة فكرية وفنية واجتمائية وثقافية ومن ثم توصلت الدراسة إلى عدة نتائج بعد دراسة روايات سحر خليفة ومن أهمها:

أن الروائية سحر خليفة جعلت أبطال رواياتها معظم شخصيات نسائية لأنها تحمل قضية المرأة العربية التي تنتقص حقوقها وتهدر إمكاناتها، لكن هذا لا يعني إهمال الرجل وإظهاره في صفات ثانوية.

- اختيار الكاتبة سحر خليفة معظم الشخصيات من الواقع الفلسطينى.
- تحمل بطلاتها ثقافات وآراءا خاصة يمكن تفسيرها من خلال آرائها وطبيعة شخصيتها.

- تنوع الصور داخل رواية قيد الدراسة فقد جاءت متعلمة، عاملة، مسترجلة، وعشيقة.
- قد عكست الكاتبة الصورة النمطية للمرأة فبدل أن تجسدها ضعيفة ومقهورة كالعادة، ومسلوبة الحقوق، فقد جعلتها مسترجلة وطاغية، والرجل يعاني من الضعف،والإهانة والذل والاحتقار.
- معظم الشخصيات النسائية يواجهن اغترابا نفسيا داخليا في واقعهن المعيشي ويحاولن التغلب عليه ومسايرة الواقع.
- كشفت الكاتبة عن مشاكل المرأة خاصة والمجتمع الفلسطينى عامة.
- أرادت الروائية تغيير وجهة النظر إيزاء المرأة، ليس من أجل تقزيم مكانة الرجل، وتهميشه بقدر ما أرادت لفت الانتباه لقضية حساسة موجودة في المجتمع.

وفي النهاية نقول إن الكاتبة سحر خليفة تعدّ من أهم الروائيات الفلسطينيات الرائدات اللواتي سعين إلى منح المرأة حقوقها من خلال تقمص المرأة لصورة الرجل لتبين لهم مدى معاناتها من ظلمه وجبروته وجوره.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو إصبع، صالح، فلسطين في الرواية العربية، مركز الأبحاث، بيروت، 1975 م
- أبو مطر، الدكتور أحمد، الرواية في الأدب الفلسطيني، الطبعة الأولي 1990 م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، الطبعة الثانية، عويدات للنشر والطباعة– بيروت،1982م.
- أيوب، محمد، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية، الطبعة الأولى 2001 م، دار السند باد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- أيوب، محمد، الشخصية الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967–1993 م، الطبعة الثانية 1996 م، مكتب النيل للطبع والنشر، القاهرة، مصر.
- الجهيم، صياح، ملامح من حنا مينة، دار ايبلا للنشر والتوزيع، دمشق، 1989 م
- حبيب، نجمة خليل، النموذج الإنساني في أدب غسان كنفاني، الطبعة الأولى 1999 م، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان.

- حبيبي، إيميل، سداسية الأيام الستة، دار الجليل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1984 م
- الحكيم، توفيق، عودة الروح، ج1، الشروق، بيروت،2004.
- خليفة، سحر، "لم نعدجوارى لكم"، الطبعة الثانية، دارالآداب– بيروت،1999.
- خليفة، سحر، أصل وفصل، الطبعة الأولي، دارالآداب، بيروت،2009.
- خليفة، سحر، الصبار، الطبعة الثالثة، دارالآداب، بيروت،2013.
- خليفة، سحر، الميراث، الطبعة الأولي، دار الآداب، بيروت،1997.
- خليفة، سحر، باب الساحة، الطبعة الثانية، دار الآداب، بيروت،1999.
- خليفة، سحر، عبادالشمس، الطبعة الرابعة، دارالآداب، بيروت،2008.
- خليفة، سحر،ربيع حار، الطبعة الأولي، دار الآداب، بيروت،2004.
- خليفة، سحر،صورة وأيقونة وعهد قديم، الطبعة الأولي، دار الآداب، بيروت،2002.
- خليفة، سحر،مذكرات إمرأة غير واقعية،الطبعة الثانية، دار الآداب، بيروت،1992.
- دراج، فيصل مع الآخرين، أفق التحولات في الرواية: دراسات وشهادات، الطبعة الأولى 1999 م، دار الفنون، الأردن، عمان.

- سلام، محمد زغلول، دراسات في القصة العربية الحديثة، الطبعة الأولى 1973 م، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- شكري، الدكتور غالي، أزمة الجنس في القصة العربية، الطبعة الأولى 1991 م، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- صالح، فخري، في الرواية الفلسطينية، الطبعة الأولى 1985 م، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان.
- عبد الهادي، فيحاء، نماذج المرأة: البطل في الرواية الفلسطينية، الطبعة الأولى 1997 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- الغزاوي، عزت، نحو رؤية نقدية حديثة، اتحاد الكتاب الفلسطيني، القدس، فلسطين، 1989 م
- فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبى،الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1980.
- كنفاني، غسان، الآثار الكاملة، المجلد الأول: الروايات، الطبعة الأولى 1972 م، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- لاشين،محمود طاهر، حواء بلا آدم، مطبعة الاعتماد،القاهرة،1934.
- منيف، عبد الرحمن، الآن هنا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1991 م

- موسى، شمس الدين، تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، الطبعة الأولى 1997 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- مينة، حنا، الثلج يأتي من النافذة، دار الآداب، بيروت، 1985 م
- مينة، حنا، المرصد، الطبعة الرابعة 1987 م، دار الآداب، بيروت، لبنان.
- هيكل،محمد حسين، زينب،الطبعة الخامسة، دار المعارف،القاهرة،1992.
- الورقي، السعيد، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، الطبعة الأولى 2009 م، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

محتويات البحث

رقم	العناوين	صفحة
1	مقدمة البحث	2
2	الباب الأول: حياة سحر خليفة وأعمالها الأدبية	8
3	الفصل الأول: مولدها ونشأتها	9
4	الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في حياة سحر خليفة	21
5	الفاصل الثالث: أعمال سحر خليفة الأدبية	41
6	الباب الثاني: صورة المرأة في الرواية المعاصرة	55
7	الفصل الأول: صورة المرأة في الرواية العربية	56
8	الفصل الثاني: صورة المرأة في الرواية الفلسطينية	76
9	الباب الثالث: المرأة في روايات سحر خليفة	90
10	الفصل الأول: القضايا النسوية والسياسية في روايات سحر خليفة	91
11	الفصل الثاني: تعامل المرأة مع المجتمع في روايات سحر خليفة	104
12	الفصل الثالث: مساهمة سحر خليفة في نهضة المرأة المعاصرة	111

13	خاتمة البحث	114
14	قائمة المصادر والمراجع	116

Socio- Cultural issues of Women in the Novels of Sahar Khalifeh

"An Analytical Study"

Qadhaya al Marah al Ijtimaiyah wa Althaqafiyah fi Riwayaate Sahar Khalifeh

Dirasah Tahliliyah

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University

In partial fulfillment of the requirements

For the award of degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

By

MD ABRAR ALAM

Under the Supervision of

Dr. MD QUTBUDDIN

Centre for Arabic and African studies

School of language, literature and culture studieis

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067

2017